

حديث الصباح

أدهم شرقاوي
قس بن ساعدة



الطبعة الرابعة

حديث الصباح

نصوص

أدهم شرقاوي / قسّ بن ساعدة

٢٠١٥



حديث الصباح

• حديث الصباح
• أدهم شرقاوي / قسّ بن ساعدة
• دار كلمات للنشر والتوزيع
• الطبعة الرابعة ٢٠١٥
دولة الكويت / محافظة العاصمة
تلفون : ٠٠٩٦٥٩٩١١٩٩٣٤
٠٠٩٦٥٩٩١١٩٩٨٦
تويتر : @Dar_kalemat
إنستجرام : Dar_kalemat
Dar_Kalemat@hotmail.com
للتواصل مع المؤلف : @adhamsharkawi

رقم الإيداع : (٢٠١٥/٠٤٩)

ردمك : ISBN: 978-99966-45-59-4

الإهداء

إلى الذين لن يشتروا هذا الكتاب لأنهم لا يملكون ثمنه!
إلى الذين لا يعرفون رياضة يومية سوى : الرّكض وراء الرغيف!
أهديكم كتابي الذي لن تقرأوه!

هذيان قلب

هذا هو الصباح الأول في صباحات ستأتي لاحقاً إن شاء الله
وقد أحببتُ أن أبدأ صباحاتي بكِ
لا لأن الدنيا قد أخذتني منك فلم أكتب لكِ منذ فترة طويلة
بل لأن أيامي تبدأ بكِ وتنتهي بكِ
لطالما كنتِ توقيتي الأجمل ورزنامة عمري
ولطالما كان يعجبني أن أضبط ساعة حياتي على نبض قلبك
فأنتِ المرأة التي قلتُ لها يوماً :
للشِعر بحر لم يعترف به العروضيون بعد وهو إيقاع خطواتك
أشغلتني الحياة عنكِ رغم أن حياتي لم يصبح لها طعم إلا عندما صرتِ جزءاً منها . . . بل صرتِ كلها
أشغلتني عنكِ رسالة الماجستير رغم أن شهادة زواجي بك ستبقى أغلى شهاداتي إلى قلبي
وها أنا قد تسجلتُ للدكتوراه لا لأنشغل عنكِ مجدداً بل لأكون لائقاً بك
انشغلتُ بكتبي عنكِ ولكني ما نسيتُ يوما أن عينيكِ كتابي الأجمل
انشغلتُ عنكِ فلم تكُفّي عن انشغالك بي
كأنكِ أنجَبتني!
كنتُ دوماً أحبَّ أولادكِ إلى قلبكِ!
ابتعدتُ عنكِ فكنتِ كل يوم أقربَ
أعود بذاكرتي إلى الوراء

إلى أول يوم التقيتكِ به
عرفتُ يومها أنكِ من النساء اللواتي لا يأتين في العمر مرتين
ولكني أمسكتُ قلبي عنكِ
كنتُ كل صباح أقرأ عليه المعوذات لأخلصه من سحرك فأجدُكِ كل يوم أقرب!
وعندما قررتُ أن أهرب منكِ وجدتني أهرب إليكِ وأقول لك : أحبكِ
كنتُ مصاباً بكِ كمرض لا أريد أن أشفى منه
كنتُ كل يوم أريد أن أمرض بكِ أكثر
وتزوجتكِ لا لأني كنتُ قادراً على الحياة معكِ بل لأني كنتُ عاجزاً عن الحياة دونكِ!
لم أكن أحفل بالشمس فيومي لا يبدأ إلا حين تقولين لي صباح الخير
ويومي لا ينتهي إلا حين تغمضين عينيك فينطفئ هذا الكوكب وأنام!
أتذكر أشياءنا الحلوة
أتذكر حين أنجبنا فاطمة نظرتِ إليها وقلتِ لي : أرايتَ كم تشبهك؟
هل صدّقتَ الآن أني أحبكَ أكثر مما أُحبني!
أتذكر خطواتنا في الطريق إلى الكعبة
كنتُ أمسكِ يدكِ كأنكِ ابنتي وأنا وأبوكِ
وفي زحمة الطواف كنتُ أحيطكِ بي لطالما حميتك من كل شيء إلا مني!
وعند ماء زمزم كنتُ ارتوي بك

وفي عرفة مازحتكِ : لا ترشيني بماء وضوئك لا يجوز للمُحرم أن يمسّ الطِيب

أنتِ حبيبتي حتى حين لا أقول لكِ

وأنتِ الأقرب حتى عندما أكون الأبعد عنكِ

أنتِ وقودي الذي لا أريده أن ينضب

أنتِ شمعتي التي لا أريدها أن تنطفئ

أنتِ طفلتي التي لا أريدها أن تكبر

أنتِ صوتي الذي لا أريده أن يسكت

أنتِ نبضي الذي لا أريده أن يخمد

أنتِ لي

أنتِ المرأة التي لو عدتُ إلى أول العمر لأحببتها مرة أخرى

وأنتِ . . . أنتِ . . . لا أعرف ما أقول لكِ

أنتِ أنا

أنا أنتِ .

تعالوا نتفق أننا مختلفون!

يُحكى أن حافلة كانت تُقِل مجموعة من العلماء لدراسة الحياة البرية في إحدى القرى النائية ، ولما صارت الحافلة على مشارف تلك القرية انقلبتْ ، ومات كل من فيها!

فأصدرت بلدية القرية قراراً يقضي بدفن جميع العلماء في القرية تخليداً لذكراهم ، على أن تفتح باب المقبرة لذويهم يوماً في الأسبوع إذا رغبوا بزيارتهم

وصادف أن دُفن عالم فرنسي بجوار عالم هندي

وكان لكل منهما قريب لا يتخلف عن زيارة قبر قريبه كلما فتحت المقبرة بابها في اليوم الموعود

كان الفرنسي يحضر متأنقاً حاملاً باقة ورد يضعها على قبر قريبه

وكان الهندي يحضر على هيئة رثة يحمل صحن أرزٍّ ويضعه على قبر قريبه أيضاً

ودارت الأيام ، ليل يطويه نهار ، ونهار يطويه ليل وهُما على هذه الحال إلى أن أراد الفرنسي أن يسخر من الهندي وقال له : متى سيقوم قريبك ليأكل صحن الأرزّ؟!

نظر الهندي إلى الفرنسي بهدوء وقال له : عندما يقوم قريبك ليشمَّ باقة الورد!

الشاهد في القصة أننا ندير حياتنا وفق قيم ، ومعتقدات ، وعادات ، ألِفناها وتربينا عليها حتى غدت جزءاً من منظومتنا الفكرية ، هذا إن لم تكن منظومتنا الفكرية كلها ، فما الإنسان غير حزمة قيم ومعتقدات وعادات!

وبالتالي فإننا نحكم على سلوكات الآخرين منطلقين من معتقداتنا ومنظومتنا الفكرية ، فما وافقها كان صائباً ، وما خالفها كان خاطئاً!
للوهلة الأولى قد تجد أن باقة الورد على قبر الفرنسي أجمل من صحن الأرزّ على قبر الهندي
ولكنك لو تأملت الحادثتين بموضوعية فستجد أن باقة الورد الفرنسية ليست إلا صحن أرزٍّ هندي بأسلوب حديث!
إننا لا نعيش وحدنا على هذا الكوكب ، هناك آخرون يروننا غريبي الأطوار لأن منظومتهم الفكرية تختلف عن منظومتنا الفكرية ، ونحن نراهم كذلك لذات السبب!
أسهل طريقة لفهم سلوكات الآخرين هو فهم العقلية التي أنتجتها!
أنا هنا لا أدعو لأن نتنازل عن مبادئنا وأفكارنا وقيمنا إرضاءً للآخرين ، وتحقيقا لإنسانيتنا
على العكس تماماً أن أريد أن نتمسك بكل ما سلف ، ولكن في طريقنا لفعل هذا علينا أن نفهم أن المُختلفين عنا هم بشر أيضاً ، وأننا لو عشنا ظروفهم وحياتهم لكنا نسخة عنهم
إننا نتخذ من عاداتنا وتقاليدنا أداة قياس أشبه بمقياس ريختر للزلازل ، فالإنسان عندنا هو إنسان بقدر ما يشبهنا ، وهو ليس كذلك بقدر ما يختلف عنا
آمنوا بما أنتم مؤمنون به ، علموه أولادكم ، وكونوا فخورين به ما دمتم ترونه صواباً ، ولكن تذكروا أن هذا الكوكب هو عبارة عن فندق كبير لستم نزلاءه الوحيدين!
تتنوع العادات لأن الثقافات تتنوع ، وهذا دليل عافية ، ولولا تنوع الأذواق لفسدت السلع كما يقول ابن خلدون

وتذكروا دوما أن باقة الورد الفرنسية هي ذاتها صحن الأرز الهندي ولكننا نتقبلها أكثر لأنها خرافة شاعرية!

ما الذي حدث لهذا العالم؟!

سألتهما الصحفيّة باهتمام : كيف استمر زواجكما لخمسةٍ وستين عاماً؟!

فقالت الزّوجة : نحن من جيل إذا انكسر شيء نصلحه ولا نرميه!

لقد تغيّر هذا الكوكب كثيراً . . .

نحن البشر غيرناه . . . صرنا ماديين نسأل عن ثمن الأشياء لا عن قيمتها!

نبحث في الآخر عما يملك لا عما يعرف!

صار عندنا كتب كثيرة وثقافة أقل

عندنا مستشفيات كثيرة ومرضى أكثر

عندنا مزروعات كثيرة وجوعى أكثر

عندنا شركات كثيرة وبطالة أكثر

عندنا زيجات كثيرة وطلاقات أكثر

عندنا جامعات كثيرة وجهل أكثر

عندنا محاكم كثيرة وعدل أقل

عندنا حكومات كثيرة وخدمات أقل

عندنا قصائد كثيرة وبلاغة أقل

عندنا وسائد كثيرة ونوم أقل

عندنا أدوية كثيرة وصحة أقل

عندنا مكتبات كثيرة وقراءة أقل

عندنا نكت كثيرة وضحك أقل

عندنا مصاحف كثيرة ودين أقل

عندنا مساجد كثيرة وإيمان أقل
عندنا مواعظ كثيرة وانتباه أقل
عندنا جنائز كثيرة واتعاظ أقل
عندنا عائلات كثيرة وصلة رحم أقل
عندنا أولاد كُثر وتربية أقل
عندنا مقاهي كثيرة وتسلية أقل
عندنا أخبار كثيرة ومعلومات أقل
عندنا غزل كثير وحب أقل
عندنا أغطية كثيرة ودفء أقل
عندنا ساعات كثيرة واحساس بالوقت أقل

مفاهيم خاطئة

يُروى أن معاوية بن أبي سُفيان عندما كان طفلاً ، كان ذات يوم يلعب من رفاقه فيُصلح بين اثنين تخاصما ، ويوقع الخصومة بين اثنين تآلفا ، ويحمل فريقاً من أترابه على فريق ، ويكفُّ فريقاً عن فريق!

وصادف أن مرَّ أحد الأعراب المشهود لهم بالفراسة ، فلفته دهاء الصغير ، فقال : هذا الغلام ليسُودنَّ قومه!

فسمعتْ هند بنت عتبة كلام الأعرابي ، فقالت له : ثكلته إن لم يسدهم ويسد غيرهم!

الشاهد في القصة أن الأطفال دفاتر بيضاء ، ويكبرون وفق ما نكتبه على هذه الصفحات!

نحن نزرع فيهم بذرة الشر أو بذرة الخير ولا نحصد إلا ما زرعناه!

صحيح أنّ ابن نوح عليه السلام قد غرق ، ولكن ثلاثة من أبنائه ركبوا السفينة ، يحدث أن لا تحصد ما زرعتَ ، ولكن هذا لا يحصل إلا في مرات نادرة ، والأشياء الشاذة لا تُعمم وإن كانت قابلة للحدوث ، ولكن القاعدة القابلة للتعميم أن من يزرع قمحاً يحصده ، ومن يزرع شعيراً لا يقطف عنباً!

يخلط الناس بين مفهوم الإعالة ومفوم التربية ، يعتقد الأبوان أن اطعام الابن وكسوته والعناية به هي التربية ، والحقيقة هذه هي الإعالة ، فلو اقتنى أحدنا قطاً فسيطعمه ويسقيه ويعتني به ، التربية قيم ومفاهيم ، والإعالة جزء من التربية لا التربية كلها!

لقد تعلمنا كثيراً من المفاهيم الخاطئة ، وكل مفهوم خاطئ تعلمناه

خسرنا في مقابله مفهوما صحيحاً كان يجب أن نتعلمه!

علمونا أن «همّ البنات إلى الممات»
وعلمنا النبي أن البنت تأشيرة سفر إلى الجنة!
علمونا أن «الأقارب عقارب»
وعلمنا النبيّ أنه لا يدخل الجنة قاطع رحم
علمونا «احذر عدوك مرة وصديقك ألف مرة»
وعلمنا النبيّ أن من سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله اثنان تحابا في الله اجتمعا عليه وافترقا عليه
علمونا أنه إذا أحسن الزوج إلى زوجته فهو خروف أو أرنب
وعلمنا النبي أن خيركم خيركم لأهله وأن اللقمة التي يرفعها أحدنا إلى فم امرأته صدقة
علمونا أنك لن تكون مسلما حتى تزدري غير المسلمين وتحتقرهم ولو لم يكونوا محاربين
وقد وقف النبي لجنازة يهودي مرت به ولما سئل قال أوليستْ نفسا قد خلقها الله
علمونا أن المساجد لله وأن ما عدا ذلك لولي الأمر!
علمونا أنك ما دمت بخير فلا شأن لك بالناس
وعلمنا النبي أن الناس في المجتمع كقوم استهموا على سفينة
علمونا أن «كوم حجار أفضل من إنسان جار»
وأوصانا النبي بسابع جار وأن جبريل كان يوصيه بالجار حتى ظن أنه سيورثه
أيها القوم

ما علّمتم أولادكم مفهوما خاطئا إلا هدمتم في المقابل مفهوما صحيحا

ما رسختم في عقولهم بدعة إلا هدمتم في المقابل سُنّة

ما زرعتم في حقول قلوبهم بذرة شر إلا واقتلعتم منها بذرة خير

فلننظر ماذا نزرع لنعرف أي جيل سنحصد

الرزق

يقول الحسن البصريّ : علمتُ أن رزقي لا يأخذه غيري فاطمأن قلبي!

وأنشد الشافعي يوماً :

من ظن أن الرزق يأتي بقوة

ما أكل العصفورُ شيئا مع النسر

وقال الشعراوي :

ما كان لكَ سيأتيك رغم ضعفك

وما لم يكن لك لن تناله بقوتك

غير أن الرزق عندنا مرتبط بالمال ، وهذا تضييق لمفهوم الرزق ، وتسطيح لمضمونه ، فهناك أرزاق كثيرة لا نعدها رزقاً ذلك أن ما دخل الجيب عندنا رزق وما عداه ليس كذلك

زوجة حنون تأوي إليها وفي العالم زوجات قاسيات رزق

وزوج مُحب يحتويكِ وفي العالم أزواج قساة رزق

ولد بار بكَ وفي العالم أولاد عاقون رزق

بنت تأخذكِ للجنة وفي العالم بنات على هيئة سيئات جارية رزق

أن تنام وقد حُرمت من النوم عيون رزق

أن تتمتعي بصحتكِ والمرضى حولك كثر رزق

أن يكون لكَ أقدام وقد بُترت حولك سيقان رزق

أن يكون لكِ عينان وقد عميَ حولكِ ناس رزق

أن يكون لكَ أم ولم يعرف أولاد كثر أمهاتهم رزق

وأن يكون لكِ أب وقد مُلئت الدنيا بالأيتام رزق

أن تكون مسلما وحولك خمسة مليار إنسان ذاهبون إلى النار رزق
أن تكوني طائعة لربك وأكثر أهل النار النساء رزق
أن تجد طعاماً ويموت الناس في هذا الكوكب جوعاً رزق
أن يأويكِ بيت وقد نامت نسوة في العراء رزق
أن ترى إخوتك حولك وفي العالم أشخاص مقطوعون من شجرة رزق
أن تضمي أولادك إلى صدرك وقد دفنت أم كل أولادها رزق
أن يكون تعرف القراءة ونصف البشرية أميّة رزق
أن يكون عندكِ كتاب طبخ ونسوة لا يجدن لقمة رزق
أن يذهب ابنكِ إلى المدرسة ويدكِ على قلبكِ أن لا يعود رزق
أن تأكل ما شئت وقد حرم المرض الكثيرين من أكلات رزق
أن تشربي قهوتكِ صباحاً ونسوة كثر لا يجدن فطوراً لأولادهن رزق
في العالم أرزاق كثيرة ، أرزاق كثيرة لا تُقدّر قيمتها بمال
فارضَ بما قسم الله لكَ تكن أغنى الناس
ولا تنظري لما في يد غيركِ تسعدي

صباحُكِ سُكّر

لا أعرف بالضبط ما هو توقيت هذا العالم
توقيتي أنتِ
وعقاربكِ تشير أن نهاري قد بدأ للتو
فحين تفتحين عينيكِ صباحاً تُشرق شمسي!
تستيقظين وحبات كحلكِ سكرى كان الله بعون كحلٍ أمضى ليلته في جفنيكِ

.

صباحكِ سُكّر
تفتحين الحنفية فتنادي على الماء تعال توضأ لقد جاءت الحلوة وبطُل التيمم!
يأتي الماء إليكَ عطشاناً ليشرب!
وحين تفركين كفيكِ به يقول لكِ : اغسليني أكثر!

.

صباحُكِ سُكّر
توضبين سريركِ فتقول لكِ وسادتكِ : انعسي باكراً ولا تدعيني أشتاق كثيراً
ويقول لكِ غطاؤكِ : عودي قريباً فإني بردان!
ويقول لكِ سريركِ : أيتها الملكة هذا العرش بانتظاركِ

صباحُكِ سُكّر
يُناديكِ ثوب صـلاتكِ : جفّ قلبي بانتظارك فـتـصـدقي عليّ بركعتين!
تناديكِ سجاتكِ : تعالي فقد اشتقتُ لجبيكِ
تناديكِ سُبحتكِ : داعبيني بأصابعكِ
تناديكِ أصابعكِ : دعكِ من سُبحتكِ وسبّحي عليّ فأنا أيضاً أشتاقكِ

صباحُكِ سُكّر
تضعين الماء في الركوة فتقول لكِ : أريد إجازة من النار هذا الصباح فاغليني على حرارة قلبك!
تتـوهمين أن الماء يغلي ولا تعـرفين أنه يقف على رؤوس أصـابعـه يحاول لمس أصابعكِ
تفتحين دُرج الملاعق فتقول كل ملعقة : خذيني أنا!
وحين تأخذين ملعقة تشهق كما تفعل ملكة الجمال حين يُنادى باسمها في آخر المسابقة!
وتبقى بقية الملاعق حزينة تنتظر حظّها معكِ صبيحة الغد
تمسكين علبة القهوة فيقول البُن : خُلقتُ لأوقظ الناس من غيبوبة الصبحِ فمن يوقظني هذا الصباح من غيبوبتي بكِ
تضعين الملعقة في الركوة وتحرّكين فيدوخ الماء!
تضيفين القهوة للماءِ فتقول لكِ : حرّكي برفقٍ وذوّبيني بكِ أكثر

تمسكين فنجاناً فيقول : آه مضى وقت طويل على أصابعكِ
تصبين القهوة فيقول لكِ الفنجان : كفى إني ممتلئ بكِ
وحين تلمس القهوة شفتيكِ أسمع البُن يقول : القهوة تفسد حين يلمسها السّكر
وتناوليني فنجاني فأقول لكِ : أحبكِ ولكني أكره قهوتكِ ، أحبّ القهوة مُرّة ويستحيل أن تبقى مُرّة حين تُعدّها امرأة من سُكّر

كان في هذا العالم أصدقاء

كانا اثنين
أحدهما يقول لصاحبه كل صباح : إئذن لي بالهجرة
فيجيبه صاحبه : انتظر لعل الله يجعل لكَ رفيقا!
كان يعرف أنّه مهاجر لا محالة ، فأراد أن يخبئه لنفسه بـ«انتظر»!
كان لا يطيق الدرب دونه
لهذا طرق بابه ذات ليل وقال له : هلمّ بنا يا أبا بكر!
لم يُودّع أبو بكر أهله فقد كان محمد كل أهله!
فقد كان في هذا العالم أصدقاء

ومضى الصديقان في رحلة كُتب لها أن تُغيّر ملامح هذا الكوكب إلى الأبد
وتصحح مسار الزمان والإنسان
خرجا تحت جنح الظلام ، صَديقين أعزلين
في صحراء مترامية الأطراف كل ما فيها عدو!
وقد رصدت قبيلتهم مئة ناقة لمن يأتي بهم أحياءً أو أمواتاً لا فرق!
لا شهامة الأعراب تشملهم
ولا كرم الضيافة يسعهم
ضاقت عليهما الصحراء واتسع عليهما غار!
ويحمل الصديقُ لصديقه لبناً
يشربُ النبي فيرتوي أبو بكر!
كان في هذا العالم أصدقاء!

•

لم يفكر بطلب العفو من قبيلته
كان محمد قبيلته
وكان في هذا العالم أصدقاء!

•

ويصل الفرسان المدججون إلى حيث غار الصديقين الأعزلين
أبو بكر يرتعد خوفا على صاحبه ويقول له : إن أهلكَ فإنما أنا رجل
وإن تهلكَ فأنتَ الأمر كله!
كان في هذا العالم أصدقاء!

وصديقه يُهدئ من روعه
يقول له بصوته العذب :
يا أبا بكر لا تحزن إن الله معنا
يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما
كان في هذا العالم أصدقاء

•

هذا الحديث العذب كان أكبر من أن يُحبس في مغارة
صار قرآنا
يشهد أن في هذا العالم أصدقاء

﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾

لصاحبه . . . ما أعذبها

لصاحبه . . . ما أجملها

يا لحظك يا أبا بكر

يا لحظك

يشهد المصحف أنك كنت صاحبه

كنت تحبه وكان يحبك

يا لحظك إذ تُخاصم فينتصر لكَ

«هل أنتم مُخلون إليّ صاحبي»

.

كانا صديقين

لم يفصل بين قلبيهما في الحياة إلا قليل لحم

ولم يفصل بين جسديهما في الموت إلا قليل من تراب

يا لحظك يا أبا بكر

كنتَ صديقه

وكان صديقك

وكان في هذا العالم أصدقاء

بين العِلم والدِين

العلم بلا دين لا يلبث أن يصير إلحاداً
والدين بلا علم لا يلبث أن يصير خرافة!
لقد أُثيرت العلاقة بين العلم والدين كثيراً ، وأخذت صوراً كثيرة ، لعل أقبحها هي تلك التي تحاول أن تخيّرك بين أن تكون متعلماً ، أو تكون متديناً ، بين أن تقف في صف العلم ، أو في صف الدين ، وكأنهما نقيضان لا يمكن الجمع بينهما!

.

هذه الصورة القبيحة المرسومة في مخيلة البعض ليست نتاج العلم ولا نتاج الدين ، بل نتيجة قصور في فهم العلاقة بين العلم والدين!
لقد بُلينا بفئة من المتعلمين ترى أن العلم لا يكون علما إلا إذا تحرر من ربقة الدِين ، وخرج من تحت سلطانه
وبُلينا بفئة من المتدينين ترى العلم رجس من عمل الشيطان ، ويرون أن في التداوي مثلا رفضاً لقضاء والله وقدره
إذا نحن بين أناس أتخذوا من العلم عجلا مقدسا يريدونا أن نعبده وندع سواه
وبين أناس يظنون أن نظرة الإسلام للعلم هي نظرة الدعوة لهُبل واللات ومناة .

.

أتفهم المشكلة التي حصلت بين الدين والعلم في أوروبا

فالكنيسة كانت قد آمنت بمجموعة خرافات وجعلتها حقائق دينية وحملت عليها الناس بالقوة ، ونكلت بكل من حاول المساس بها ، ويكفي فقط أن جاليلو جاليلي قد أُجبر على القول بأن الأرض لا تدور ، ولو أنه أصر على رأيه لأُحرق حيا لأن هذه كانت عقوبة الكنيسة على من ثبتت عليه الهرطقة .

ولما بزغ فجر العلم في أوروبا ، واستطاع تكذيب خرافات كثيرة كانت الكنيسة قد جعلتها ديناً ، ظن الناس أن العلم لا يمكنه إكمال طريقه إلا إذا أقصى الدين ، وأزاحه عن مشهد الحياة

أما عندنا فمتى حصل صِدام بين العلم والدين حتى نقف مرغمين على الاختيار بين أحدهما؟

متى تعارض العلم الصحيح مع الدين الصحيح؟

متى استطاع العلم أن يثبت أن معلومة علمية جاء بها الدين لم تكن إلا خرافة

الواقع عكس ذلك تماما

الدين لم يُغيّر رأيه أبداً في مسألة كان قد بتّ بها

في حين أن العلم قد غيّر أقواله كثيراً ، وحقائق اليوم قد تكون خرافات الغد ، العلم اعتقد أولاً أن الأرض مسطحة ، ولما طوّر وسائله وأدوات دراسته أخبرنا أنه كان مخطئا!

بل الأجمل أن العلم كلما طوّر وسائله ، وأدوات دراسته ، اهتدى لحقائق علمية نعرفها منذ ١٤٠٠ سنة

متى حارب الإسلام العلماء؟!

الدين الذي يجعل طلب العلم فريضة يستحيل أن يقف بوجه العلماء

وإذا كان الغربيون قد صاروا أمة يوم انسلخوا من الدين
فإننا لم نصبح أمة إلا يوم لبسنا عباءته
في ظل الإسلام كان ابن خلدون وابن الهيثم وابن حيان والمقريزي وكثر يستحيل عدهم وحصرهم
إننا لا نريد علما دون دين ، لأن العلم الذي لا يعترف بسلطان الله على الكون سيعبد نهاية المطاف نفسه!
ولا نريد دينا دون علم ، لأن الإسلام الذي بدأ ب إقرأ لا يرضى لاتباعه أن يكونوا جهلة

تعالوا نأخذ بالأسباب ونتيقن بالله!

مرّ عمر بن الخطاب على أعرابيّ عنده جَمل قد أصابه الجرب
وإذا بالأعرابي يرفع يديه إلى السماء يدعو الله أن يشفي له جمله
فقال له عمر : يا أخي أيّدْ دعاءك بشيءٍ من القطران!

جعل الله الدنيا دار أسباب ، فمن ابتغى شيئا سلك سبيله :
من مرض تداوى
ومن أراد النجاح اجتهد
ومن عزم على السفر اقتنى راحلة
ومن أراد ولداً ابتغى زوجة
هذا مع العلم أنك قد تتداوى ولا تشفى
وتجتهد ولا تنجح
وتقتني راحلة ولا تسافر
وتتزوج ولا تنجب
لأن قدر الله نافذ لا محالة ، والأسباب تجري على الناس ولا تجري على الله
ولكنا أُمرنا بالأخذ بها لأنها واقعة في قدر الله!

إن الصواب أن نأخذ بالأسباب
ولكن الخطأ أن نجعل يقيننا عليها

هل نسيتَ أن الله شقّ البحر لموسى بـ«كلا إن معي سيهدين»
هل نسيتَ أن الله حفظ يونس في بطن الحوت بـ«لا إله إلا أنت سبحانك إني كنتُ من الظالمين»
هل نسيتِ أن الله أبرد النار على إبراهيم ب حسبي الله ونعم الوكيل
هل نسيتَ أن الله شفى أيوب بـ«مسني الضر وأنت أرحم الراحمين»
هل نسيتِ أن الله رزق مريم بالمحراب بـ«هو من عند الله»
هل نسيتَ أن الله أغرق الأرض بدعاء نوح
هل نسيتِ أن سارة عندما بُشّرت باسحاق كانت «عجوز عقيم»
هل نسيتَ أنه عندها ضاقت الأرض على عيسى رُفع إلى السماء
هل نسيتِ أن محمداً حينما خذله قومه عرج به ربه إلى سدرة المنتهى

.

حين نتأمل أوجاعنا نعرف أن أسوأ ما حدث لنا كان من الناس وأجمل ما حدث كان من الله
وما زلنا نقترب من الناس ونبتعد عن الله
ما زلنا نتداوى عند الناس وننسى أن الطبيب في السماء
ما زلنا نسترزق عند الناس وننسى أن الرازق في السماء
ما زلنا نلوذ بالناس وننسى أن الحامي في السماء
ما زلنا نسأل الناس وننسى أن المعطي في السماء
دوما يخذلنا الناس فمتى خذلنا الله

متى ذهبتَ إليه فوجدت بابه موصدا
متى قصدته فردك
متى دعوته فصدك
متى جئته خائفا فما أمّنك
متى جئته وحيدا فما آنسك
متى جئته مخذولا فما واساك
متى جئته طريدا فما آواك
متى جئته مكسورا فما جبرك
متى سألته الستر فما سترك

.

ما حاجتك للناس وأمرهم وأمرك بيده
ما حاجتك لأبواب الناس المغلقة وباب الله مفتوح
ما حاجتك لبيوتهم الموصدة وبيوت الله مشرّعة
ما حاجتك لما يملكون وهم وما يملكون لله
الناس ذاهبون والله باق
الناس ميتون والله حي لا يموت

.

إذا سألت فاسأل ما لا يرى سؤالك تسولا
وإذا بكيت فابكِ لمن لا يرى بكاءك ضعفا
وكن له عبدا كما يحب يكن لك ربا كما تحب
ولا تكن رجلا وتنسَ حديث الغلام

.

إذا سألت فاسأل الله

وإذا استعنت فاستعن بالله

فالله يُحب أن يُسأل ويحب أن يُقصد

.

خذ بالأسباب ما استطعت ولكن تيقين أنك لن تنال إلا ما كُتب لك

ولو هربت من رزقك كما تهرب من أجلك لتبعك رزقك كما يتبعك أجلك

اقرأ بُرجك!

على ذمة الرواة ، والرواة غالبا ذممهم أوسع من شروال جدي ، أن أبا جعفر المنصور كان على صلة وثيقة بالعرافين والمنجمين ، يستعين بهم في تدبير أمور الدولة ، فلا يقطع أمراً ، ولا يحزم رأيا حتى يرجع إليهم!

وعلى ذمة أوبرا وينفري هذه المرة ، وأوبرا عندهم كجهينة عندنا ، تأتي غالبا بخبر يقين ، أن رونالد ريغن كان محاطا بفريق من المنجمين يستعين بهم لتدبير أمور العباد والبلاد

وعلى ذمة شريط فيديو ، وأشرطة الفيديو أصدق انباء من الرواة الكذابين ، ومن أوبرا التي تملك غرفة أحذية أكبر من بيتنا!
أن رئيس البيرو السابق ألبيرتو فيجامورو قد ضُبط متلبسا يسترشد برأي عرافة ، وببركة دخان بخورها كان يُسلّك أمور القوم!

إذا كان هذا حال الخاصة فعن حال العامة حدّث ولا حرج
ثمة أناس لا يكتمل صباحهم إلا بقراءة الأبراج
وكاتبو الأبراج كذابون أذكياء
يستعملون مفردات مُخدّرة نحب أن نسمعها

.

.

هذا يوم حظك!

الملايين من أبناء هذا البرج هذا يوم حظهم!

بغض النظر أن الكهرباء تزورنا على استحياء كحمى المتنبي مع فارق في التوقيت وهو أن حمى المتنبي كانت تزوره ليلا وكهرباؤنا فاجرة ولا تخجل!

والزفت في كل مكان إلا في الشوارع

وسعر كرتونة البيض يوحي أن الدجاجة تبيض في قصر باكنغهام

وأن الملكة فكتوريا تشرف على هذا بنفسها

ولكن هذا يوم حظك!

.

هذا اليوم ستعقد صفقة عمل رابحة!

بغض النظر أنك لم تنم جيدا وأنت تفكر كيف ستقضي دينك

وكيف ستسدد أقساط أولادك في المدرسة

وأقساط سيارتك

وكيف ستدفع فواتير الماء والكهرباء ومخالفة المرور

وكيف ستدفع الربا للبنك!

بغض النظر أن الصفقة الرابحة الوحيدة التي بامكانك أن تعقدها هي أن تقنع راتبك أن لا يتركك في منتصف الشهر

.

هذا يوم الحب افتحي عينيك جيدا!
إنهم يقولون لك : تلحلحي قليلا بدأ القطار يفوتك
يريدون اقناعك أن كل امرأة لطشت عريساً قبلك كانت قد فتحت عينيها جيداً في يوم الحب!
اياك أن تُضيعي هذا اليوم
كوني برج مراقبة
لا يعلمون أنك تفتحين عينيك جيداً كل يوم لأن العنوسة كابوس نسائي تدركينه بالفطرة
لا يعلمون أنك تفتحين عينيكِ وأنتِ نائمة حتى لكثرة ما تخبرك أمك أن صديقاتك كلهن قد تزوجن!
عموما هذا يوم الحب ولا أريد أن أعكر صفوك!
فافتحي عينيكِ جيداً

.

لا تسافر هذا اليوم!
أخبروهم أننا لا نملك جوازات سفر أساسا
وأننا لو ملكناها تطردنا السفارات كأننا مصابون بالجرب
أخبروهم أن الذين يستطيعون أن يُسافروا متى شاؤوا لا يشترون صحفهم العفنة
ولا يتصفحون كلامهم في الانترنت لقد شغلتهم الأسهم والبورصة
أخبروهم أن من استطاع منا السفر نقب شركات الطيران عن ارخص عرض وأنه سيسافر هذا اليوم ولو أخبرتموه أن الطائرة ستنفجر!

.

.

أعرف أن كثر منكم لا يصدقون الأبراج
ولكنهم يقرأونها
من باب التسلية ليس إلا
ومن باب الجد دعوني أخبركم أن الأبراج كهانة
وأن الغيب علم اختص الله به نفسه
وأنه أشرك بعض خلقه ببعض علمه ولكن قطعا لم يكن من بينهم كاتبو الأبراج!
«من أتى عرافا ولم يصدقه لم تُقبل له صلاة أربعين يوما ، ومن صدقه فقد كفر بما أنزل على محمد»
إن رزقك مكتوب في اللوح المحفوظ وسيأتيك ولو أخبرك العرافون أن حياتك ليس فيها مجال لصفقات رابحة
وعريسكِ ستأخذينه ولو لم تفتحي عينيكِ في يوم الحب! لأن هذا رزق أيضا ، ولا أحد يأخذ رزق أحد مهما تلحلح
إن الأمر وإن بدا طريفا فليس كذلك
الأمر دِين يا قوم فلا تدعوهم يُفسدون دينكم
هذا يوم التفكير . . . افتحوا عقولكم

الملافظ سَعْد

يُحكى أنّ ملكاً رأى فيما يرى النائم أن أسنانه كلها سقطت أمامه وهو ينظر إليها

طلب الملك من أحد المفسرين تأويل رؤياه

فقال له المُفسّر : سيموت كل أقاربك أمام عينيك!

فغضب الملك غضبا شديداً وأمر بحبس المفسّر

وطلب مفسراً آخر ، فلما حضر بين يديه وقصّ عليه رؤياه

قال المفسر : أيها الملك سيموت جميع أهلك أمامك!

غضب الملك غضباً أشد من غضبه الأول ، وطلب من حاجبه أن يلقي المفسر في السجن مع المفسر الأول

ما إن سكتَ الغضبُ عن الملك حتى طلب مفسراً ثالثا

فلما حضر بين يدي الملك وقصّ عليه رؤياه

ابتسم المفسر وقال : رأيتَ خيراً أيها الملك ، ستكون أطول أهلكَ عُمْراً!

.

التأويل الأخير للرؤيا لا يختلف من حيث المضمون عن التأويلين الأوّلين لكنه لا شك يختلف من حيث الأسلوب!

ما دام أن أهل الملك سيموتون في حياته ، فهذا يعني أنّه سيكون أطول أهله عُمراً

هناك من يقول : نصف الكوب فارغ ، وهناك من يقول نصف الكوب ممتلئ

النتيجة واحدة من حيث المضمون ، ولكن المسافة شاسعة بين أسلوب وأسلوب!
علينا أن نختار مفرداتنا بعناية كما نختار ملابسنا وعطورنا ، لأن الكلام أناقة لا تَقِل أهمية عن أناقة الثياب ، ورائحة لا تَقِل شذى عن رائحة العطر

.

كل حديث نجريه ينقسم إلى قسمين :
١, مضمون
٢, أسلوب
فإن كان مضمون حديثك جميلا فلا تفسده بقبح أسلوبك
وإن كان مضمون حديثك قبيحاً فلا تُضِف لقبح المضمون قبح الأسلوب ، فإذا جمع المرء بين قبحين صار لا يُطاق

.

«ولو كنتَ فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك»
مهما كانت فكرتك جميلة لن تكون أجمل من الإسلام
ومهما كانت دعواك عظيمة لن تكون أعظم من الإسلام
ومهما كانت قضيتك مهمة لن تكون أهم نن الإسلام
ولكن الإسلام الفكرة الجميلة والدعوة العظيمة
والقضية المهمة
كان سيبتعد الناس عنها لو قدّمها شخص فظ غليظ القلب ، لا أسلوب عنده في عرض فكرته

الأسلوب السيء يُفسد الفكرة الجميلة
لهذا اختار الله لدينه العظيم رجلاً «على خلق عظيم»
كان يقابل الاساءة بالاحسان
ويعفو عمن ظلمه
يصل رحمه
ويجالس المساكين
صعد إلى سدرة المنتهى وعاد إلى الأرض يخيط نعله ويحلب شاته
ويخدم أهله

اختاروا مفرداتكم كما تختارون ملابسكم
فالكلام أناقة أيضا

الإعلانات التجارية!

يـروي «الأصـفهـانـي» فـي كـتابـه «الأغاني» أن تاجراً من الكوفة قدِمَ المدينة المنورة بخُمر / جمع خمار، فباعها كلها وبقيت السود منها لم تُقبل عليها النساء، وبقيت بضاعة كاسدة في وجه صاحبها .

وكان التاجر صديقاً لـ«الدرامي» .

وكان الدرامي مكياً يقيم في المدينة، اشتهر بشعر الغزل، وكان له حظ من الغناء، ثم ما لبث أن تنسّك وأقلع عن الغناء، وما عاد يقرض شعراً غزليا .

شكا التاجر لصديقه ما صار إليه أمر تجارته

فقال له الدرامي : لا تقلق، فإني سأبيعها لك!

ثم أنشد قائلا :

قل للمليحة في الخمار الأسودِ

ماذا فعلتِ بناسك متعبدِ

قد كان شمّر للصلاة ثيابه

حتى وقفتِ له ببابِ المسجدِ

رُدّي عليه صيامه وصلاته

لا تفتنيه بحق دين محمدِ

فانتشرت الأبيات بين الناس، وأقبلت النسوة على الخمر السود، وباع الكوفيّ بضاعته ومضى في سبيله، وعاد الدراميّ لتنسكه وعبادته!

.

هذه الأبيات على عذوبتها كانت أول إعلان تجاري في التاريخ!
ومن يومها توالت الإعلانات حتى وصلنا هذه الأيام إلى ما وصلنا إليه

.

الإعلان التجاري صار اليوم علما قائما بذاته . القائمون عليه يدرسون نفسية المستهلك ، ويقدمون له المُنتج بطريقة جذابة تجعله إن كان رجلا يفكر جديا بشرائه ، وإن كانت امرأة ستشتريه على الفور!
اسألوا شركة «غارنييه» عن حجم مبيعاتها ستعرفون أن كلهن يصدقن أنهن سيصبحن «هند صبري»
المبيعات في ازدياد ، والنساء على حالهن ، والتجمل أمر مطلوب ، ولا يُصلح العطار ما أفسد الدهرُ!

.

كل مستحضرات التنظيق تخبرك أنها تقضي على ٩٩٪ من الجراثيم
أنا حقيقة لم أعد أريد القضاء على الجراثيم
أريد فقط أن أتشرف بلقاء هذه الجرثومة الخارقة التي لم يستطع أن يقضي عليها أحد!

بالمناسبة أنا لم أعد أستخدم معجون الأسنان لقد استبدلته بالسواك
كنت كلما أشتري معجون أسنان أجده أغلى من الاصدار القديم
لأن الجديد يحتوي على فلورايد أكثر
بالمناسبة أيضاً لو اجتمعت شركات معجون الأسنان لتصنع معجون أسنان غني بالفلورايد فلن تزيد نسبته عن النسبة الموجودة في السواك
الأشخاص الوسيمون الذين يأتون بهم لدعايات معجون الأسنان لا يستخدمون المنتج الذي يعرضونه
وهذا البياض الذي ترونه في أسنانهم ما هو الا «هوليود سمايل»
اياكم أن تصدقوا أن ميسي يشرب البيبسي طوال الوقت
وأن رونالدو يحلق لحيته بـ«جيليت»
وأن منى أبو حمزة تغسل بـ«بيرسيل»
منى أبو حمزة آخر مرة شاهدت غسالتها كان يوم اشترتها!

.

.

أكثر دعاية ترفع ضغطي تلك التي تقول :
أُنتخب هذا المنتج منتج العام من قبل المستهلك
أنا مستهلك ، وكلكم كذلك
شخصيا لم يطلب مني أحد أن انتخب!
هل طلب منكم أحد ذلك؟!
كنت كلما توجهت إلى السوبر ماركت تأنقت وتربت لعلي أنتخب
كنتُ سأدلي بصوتي لِـ«سنيكرز» لأنه من المنتجات التي لم يتغير طعمها ولكن تضاءل حجمها وزاد سعرها

ولكني لما عرفت أن منتج العام شيء عليّ أن أبايعه شئت أم أبيت
صرت أذهب إلى السوبر ماركت أشعث أغبر

.

المرهق في الأمر أن الإعلان الذي نشاهده نحن من يدفع ثمنه!
أنا لا أريد أن لا تشتروا
وبدوري سأشتري
وسأبايع منتج العام
ولكن أردت أن أخبركم أنهم يكذبون!

قسماً بالله أحبكِ

١

هذه آخر رسائلي إليكِ
ولم أكن أتوقع أن أجلس يوماً لأكتبَ لكِ رسالة أخيرة
لقد أردتكِ للعمر كله ولكنها الحياة يا حلوة
قاتلتُ بشرفٍ لتكوني لي ولكن الشرفاء أيضاً يخسرون معاركهم!
أتركك الآن وأمضي كجيشٍ مهزوم لم يعد لديه شيء يقاتل من أجله

.

٢

قلتِ لي يوماً : لن تُفلتَ مني
وها أنا اليوم جئتُ لأفلت
لا تحسبي أني بهذا أربح المعركة
ماذا سأفعل بنصرٍ لستِ فيه
كل نصرٍ لستِ فيه هزيمة مهما حاولتُ أن أقنع نفسي أنه ليس كذلك
بعضُ الانتصارات لها طعم الهزائم يا حلوة
هكذا هي معارك الحب!
كلانا خاسر
وليس غير الله يجعل خسارتي لكِ نصراً

٣

دعيني أسألكِ للمرة الأخيرة : كيف حالك؟

كيف حال العسليّ في عينيكِ أما زال فاتنا كآخر مرة رأيتكِ فيها

كيف هو الكحل على جفنيكِ أما زال له تأثير البنج فقد كنتُ أتخدّر كلما رأيته يحيط بعينيكِ

كيف هو الثلج الأبيض في خديكِ أما زال ناعماً كآخر مرة مررتُ أصابعي عليه

كيف هو القرنفل الأحمر في شفتيكِ أما زال دافئا كآخر عهدي به

كيف حاجبيكِ أما زالا أنيقين كما كانا دوماً

وكيف هي الشامة الصغيرة عند شفتك السفلى أما زالت فاتنة كما كانت دوماً

وكيف هي الخدوش الصغيرة في يديكِ؟ أتذكرين كيف كنتُ أقبلكِ منها لتشفى

وكيف أنتِ

أنتِ كلكِ كيف؟

.

٤

قسماً بالله أحبكِ

وقسماً بالله أنه ليس في قلبي أحد أكبر منكِ إلا الله

وإني الآن أعتقكِ مني لله

وأعتق نفسي منكِ لله

ويشهد الله أني إذ أنزعكِ مني كأن ملك الموت عند رأسي ينزع

روحي
ولأن هذه اللحظة آتية لا محالة
خشيتُ أن يأتيني ملك الموت وفي قلبي حرام

٥
كان كل شيء بريئا
لم يكن فيكِ شيء من زليخة
ولكني لستُ بطهر يوسف
وأخشى أن تجتمع الصغائر عليّ فتصير كبيرة
فاعتقيني لوجه الله وارحلي
هَبِيني له
كما أنا الآن أهبكِ له
ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه
وأقل حلال أجمل من أكبر حرام
وإني أسأله سبحانه أن يهبك بالحلال خيراً مني
.
.
٦
قسما بالله أحبكِ
ولكني لم أعد قادراً على رؤية حمرة شفتيكِ دون أن أتذكر جمر جهنم
ولم أعد قادراً على رؤية سواد كحلكِ ولا أتذكر ظلمة القبر

ولم أعد قادراً على رؤية بياض خديكِ ولا أتذكر بياض كفني
ولم أعد قادراً على أن أسبح بأصابعي وهي تلمس ما لم يحله الله لي

.

٧

لستُ جباناً حين أهربُ منكِ
أنا أهربُ منكِ إلى الله
وإني أحسبُ هذا شجاعة
وأسأله سبحانه أن يشفيني منكِ
لأني لا أعرف كيف السبيل للهرب من امرأة تحيط بي من كل الجهات
وأنا غارق بكِ
وأرى الله يضيء لي من بعيد نور توبته
أريد أن أسبح صوب الضوء
مهما كانت السباحة بعيداً عنكِ مؤلمة
وأنا أثق برحمته أن يضمّد جرح قلبي بفقدكِ

.

٨

لقد تعبتُ
تعبتُ وأنا أقرأ ﴿إني ذاهب إلى ربي ليهدين﴾ ولا أذهب إليه
تعبتُ وأنا أقرأ ﴿واتخذ الله ابراهيم خليلا﴾ وأنا أعاديه بكِ

تعبتً وأنا أقرأ ﴿واصطنعتك لنفسي﴾ وأنا أرى الشيطان يصنع بي ما يشاء
تعبتُ وأنا آكل من رزق الله وأسكن أرضه وأعصيه أمام ناظريه
تعبتُ يمدّ يده في النهار ليغفر لي حديث الليل فلا أذهب إليه
تعبتُ يمدّ لي يده في الليل ليغفر لي لقاء النهار ولا آتيه
تعبتُ وأنا أتذكر أنه سيسألني عنكِ حين أقف بين يديه وليس بيننا ترجمان

.

٩

قسما بالله أحبكِ
قسما بالله أني أردتُ أن أمسك يدك وآخذكِ إلى الله
كنتُ أسأله بيتاً صغيراً أؤمكِ به ركعتين
وتمنيتُ أن أسألكِ عن أذكار الصباح والمساء وركعتي الضحى وجزء القرآن
تمنيتُ أن أوقظكِ لصلاة الفجر
تمنيتُ عمرة تجمعنا معاً لأقول له : لقد جئتكَ بها يا الله

١٠

تيقنتُ الآن أنه من المستحيل أن نأتيه معاً
فقررتُ أن أذهب وحدي
وسأحتسبكِ عنده

إلحقي بي
واحتسبيني عنده
تعرفين أني ما حلفتُ يوما كاذباً
لهذا فليكن آخر حِلفان لي عندكِ
قسماً بالله أحبكِ

تعالوا نتعلم مِن القاتل!

جاء في الحديث أن رجلاً قتل تسعاً وتسعين نفساً ثم قرر أن يتوب ،
فذهب إلى عابدٍ وقال له :
لقد قتلتُ تسعاً وتسعين نفساً فهل لي من توبة؟
فقال له : لا
فقتله وتمم به المئة! .

الدرس الأول :
لا تقف بين الناس وبين الله!
.
.
الدرس الثاني :
إذا لم تعرف حكم مسألة شرعية فأمسك عليكَ لسانك
ليس في الأمر عيب أن تقول : لا أعلم
فقد جاء رجل من العراق إلى الإمام مالك يستفتيه في مسائل كثيره
فأفتاه في بعضها وسكت عن بعضها
فقال له الرجل : ماذا أقول لأهل العراق يا إمام؟
فقال له : قل لهم إن مالك لا يعلم!
.

ثم إن الرجل بعد أن قتل العابد وتمم به المئة أصابه الندم فقصد عالماً وقصّ عليه قصته ثم سأله : هل لي من توبة؟

فقال له العالم : أجل

الدرس الثالث :

إذا أشكل عليكَ شيء في دينك فاقرع باب العلماء ولا تقرع باب العُبّاد

فعبادة العابد لنفسه وجهله للناس

والعالم إن قصّر في عباداته فتقصيره على نفسه أما علمه فللناس!

كثرة الخطى إلى المساجد تجعل من المرء عابداً ولا تجعل منه عالماً

فإذا استقللت عبادتك فاشحذ همتك باقبال العُبّاد على الله

أما إذا أردت فتوى فعليكَ بالعلماء

ولو عثرتَ على عالم عابد فقد عثرتَ على كنزٍ ثمن فخذ منه ما استطعت

.

ثم إن العالم قال له : وإنك بأرض سوء فاذهب إلى البلد الفلانية ففيها من الصالحين من يعينك على أمر دينك

الدرس الرابع :

الرفقة الصالحة تأخذك إلى الله

ورفقة السوء تبعدكَ عنه

فإذا أردتَ الله إلزمْ أهله

فإن المرء على دين خليله

ثم إن الرجل حمل زاده وارتحل يريد بلد الصالحين
الدرس الخامس :
حُفت الجنة بالمكاره وحُفت النار بالشهوات
وإن في العبادات مشقة على النفس فإن صبر الإنسان على مشقة الطاعة ما لبثت أن تصير لذة
فقد قال إبراهيم بن أدهم : لو يعلم الملوك ما نحن فيه من لذة قيام الليل لطلبوها منا ولو بالسيوف!

.

وفي طريقه إلى قرية الصالحين أدركه الموت!
الدرس السادس :
الموت يأتي بغتة
كم طفلٍ دفنتَ
كم صبيٍ تعرفه أدركه الموت قبل أن يدركه الحلم
كم صديقٍ لكَ طواه التراب
كم مرةٍ قطفَ الموت ثماراً ما أينعت
فكن مستعداً فإنك لا تدري متى تُطوى صفحة أيامك ويُغلق كتاب حياتك

.

.

ونزلت ملائكة العذاب تريد الرجل إلى النار
لأنه لم يتب فعلا
ونزلت ملائكة الرحمة تريده إلى الجنة على ما عزم وقصد

فبعث الله ملكاً يحكم بينهم وقال لهم : قيسوا المسافة التي قطعها
فإن كان أقرب إلى قريته فهو من أهل النار
وإن كان أقرب إلى قرية الصالحين فهو من أهل الجنة
فقاسوا المسافة فإذا هو أقرب إلى أهل القرية الصالحة فأخذوه إلى الجنة
وفي رواية أن الله قارب الأرض ليكون إلى الصالحين أقرب!

الدرس السابع :
إنوِ الخير ولو لم تفعله!

الدرس الثامن :
ليس شرطاً أن تصل إلى الله المهم أن تموت في الطريق إليه

الدرس التاسع :
إذا أظهرتَ لله أنكَ تريده فسيسبب الأسباب ليأخذك إليه

الدرس العاشر :
ليس عند الله ذنب بعد الشرك إلا سفك الدماء
فانظر لعظم ذنب الرجل تجد عفو الله أعظم
طبعا هذا ليس مبررا لتأتيَ الذنوب
هذه بشرى من الله أن بابه مفتوح لكَ مهما فعلتَ
رحمة الله أكبر من ذنوبك مهما كبرت
ورحمته سبقت غضبه
وتذكر أن توبتك لن تزيد بملك الله شيئا
واعراضك عنه لن ينقص من ملكه شيئاً
ولكن الله ما خلقنا ليعذبنا

فمن دخل النار دخلها بعدل الله

ومن دخل الجنة دخلها برحمة الله

والأمر إليك

أره أنك أهل لرحمته فلن يحجبها عنك

ابتسامات وعِبر

جاء أعرابي إلى المأمون وقال له : أنا رجل من الأعراب

فقال المأمون : لا عجب

فقال الأعرابي : إني أريد الحج

فقال المأمون : الطريق واسعة

فقال الأعرابي : ليس معي نفقة

فقال المأمون : سقط عنك الحج

فقال الأعرابي : يا أمير المؤمنين جئتك مُستعطياً لا مُستفتيا

فضحك المأمون وأمر له بمال

.

.

العبرة الأولى :

كُن لماحاً

وتذكر أن البعض عندهم حياء السؤال

فرمم بحسن فهمك سوء حاجتهم إليك

لا شيء أمرّ من سؤال الناس

فحلّه بفطنتك

الذكيّ تكفيه الإشارة والسائل يضره طول العبارة

.

التقى الجاحظ بامرأة قبيحة في أحد حوانيت بغداد فقال : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وإذا الوحوش حُشرت﴾

فنظرت إليه المرأة وقالت : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وضرب لنا مثلا ونسي خلقه﴾

فقد كان الجاحظ آية في القبح

وسُمي بالجاحظ لجحوظ عينيه

ويروي عن نفسه أن امرأة جاءته فقالت له : أريدك أن تسدي إليّ معروفاً ، فامشِ معي

فمشى معها الجاحظ حتى دخلت حانوت صائغ وقالت له : مثل هذا!

ومضت في طريقها

فسأل الجاحظ الصائغ عن قول المرأة

فقال له : جاءتني هذه المرأة وطلبت مني أن أنقش على خاتمها صورة الشيطان

فقلت : إني لا أعرفه

فقالت : أنا آتيك به

فكان من أمرها ما رأيت!

العبرة الثانية :

لا تسخر من خلقة أحد فلم يخلق أحد نفسه!

ومن عاب خِلقة فقد اتهم الله بسوء الصِنعة

وإن الله ما خلق قبيحا لعجز منه

ولكنه سبحانه قسم الجمال بين الناس كما قسم الأرزاق والأعمار لحكمة اختص بها نفسه

فإن أعطاك الله أكثر من الناس فاحمده

وإن أعطاك أقل منهم فارضَ بعطائه

وتذكر أن مال قارون لم يشترِ الجنة
وملك النمرود لم يمنع عنه النار
وأن أفقر الناس أفقرهم أخلاقا
وأن الله لم يمدح نبيه بنسبه وقد كان أشرف العرب نسباً
ولم يمدحه بقوته يوم دانت له جزيرة العرب
وإنما مدحه بأخلاقه فقال : ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾
وشر مُعيب من عاب على الناس ما هو فيه

.

جاءت امرأة إلى السلطان سُليمان القانوني تشكو إليه لصوصاً سرقوا أغنامها
فقال لها : ولمَ لمْ تسهري على غنمك؟
فقالت له : ظننتك ساهراً علينا فنمتُ!
العبرة الثالثة :
تحمّل مسؤوليتك
ولا تلقِ بتقصيرك على الناس
وتذكر أنه كلما زادتك سلطتك زادت مسؤوليتك
فلا تأخذ من المنصب الشرف وتترك الواجب
قال الله : ﴿الرجال قوامون على النساء﴾
وهذا خطاب تكليف لا خطاب تشريف!
وإلا لقال الذكور بدل الرجال
قوام لتجعلها سيدة لا أمة
قوام لتجعلها زوجة لا جارية
قوام لتجعلها أُمّا لا وعاء إنجاب

قوام لتجعلها رفيقة لا تابعة

قوام لتحترمها لا لتزدريها

.

سُئل العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه :

من أكبر أنتَ أم رسول الله ﷺ

فقال : هو أكبر مني ولكني وُلدت قبله!

العبرة الرابعة :

أنزِل الناس منازلهم

فالفاضل من أقر بفضل غيره

ورأس الفضيلة أن تذكر فضائل الناس في غيبتهم

وبعيداً عن النبي الذي هو قطعة من الكمال

تذكّر أن حياة الصالحين لا تخلو من نقص

فلا تشغلك عثراتهم عن فضائلهم

فقد قال سعيد بن المسيب : من الناس من لا ينبغي أن تُذكر عيوبه

فمن كان فضله أكثر من نقصه وُهب فضله لنقصه

ومن قواعد الفقه : أن الماء إذا كثُر لم يعد يحتمل الخبث!

ولا يُعاب الفاضل بنقص أهله

قتل ابن آدم أخاه

وكان ابن نوح كافراً

وكان أبو إبراهيم مشركاً

وكانت زوجة لوط كافرة

وكان زوج آسيا يقول ﴿أنا ربكم الأعلى﴾

وأنزل الله على محمد قرآنا أن عمّه في النار

في رحاب الكهف ١
مع الخضر وموسى

سُئل موسى عليه السلام : من أعلم أهل الأرض؟
فقال : أنا!
فأوحى إليه الله أنّه ليس أعلم أهل الأرض
الدرس الأول :
لا تغترّ بعلمك فهناك من هو أعلم منك!
انظر إلى موسى من أولي العزم من الرسل
وعلمه وحي
وكان هناك من أعلم منه
أنتَ تعرف قدراتك وامكاناتك
هذا إن لم نقل أنك تُبالغ فيها!
فالافراط في تقدير الذات نزعة إنسانية
ولكنك لا تعرف قدرات الآخرين

ثم إن موسى سأل الله أن يرشده إلى مكان من هو أعلم منه ليتعلم على يديه
الدرس الثاني :
تدارك موسى خطأه
والكرام يعودون لأصلهم سريعاً
وكليم الله يريد أن يتعلّم!

ما أعظمك يا موسى
قال فيك ربك ﴿واصطنعتك لنفسي﴾
وقال فيك ربك ﴿ولتصنع على عيني﴾
وقال فيك ربك ﴿وألقيت عليك محبة مني﴾
وقال فيك ربك ﴿وأنا أخترتك﴾
ومع هذا لا تجد حرجا في أن تسأل عن مكان شخص أعلم منك دون أن تسأل عن اسمه وهويته!

.

ثم إن الله أخبر موسى أن يصحب معه يوشع بن نون ويرتحلا وحيثما فقدا زادهما فهناك سيلتقيان بمن سيُعلّم موسى
الدرس الثالث :
اقترن طلب العلم بالمشقة
هذا موسى يرتحل بحثا عن عالم
وارتحل البخاري طلبا لحديث
وكان الشافعي يصلي الفجر بوضوء العشاء لأنه كان يمضي الليل مقلبا الأحاديث بحثاً عن جواب مسألة
كانوا يرتحلون . . . ويسهرون . . . ويكتبون الكتب بأيديهم . . .
لم يعرفوا google
ولم تكن في أيامهم جامعات جميلة
ولا معارض كتب
ولا مكنات تصوير
ولكنهم كانوا سباقين

كان ابن الهيثم يتحدث في البصريات عندما كانت أوروبا تبحث
من جاء أولاً البيضة أم الدجاجة
عندما كنا نعرف قياس الزوايا كانوا لا يعرفون مساحة بيوتهم
عندما كنا نعرف الدورة الدموية كانوا يستخدمون الرقى والتمائم
والتعاويذ لعلاج مرضاهم

عندما أخبر يوشع بن نون موسى أنه عندما كان نائما أحيا الله
السمكة الميتة التي كانت من المفترض أن تكون طعامهما
فعرف موسى مكان لقاء الخضر وقفل راجعا
الدرس الرابع :
غداء موسى وفتاه يوشع بن نون كان سمكة مقددة
أي أنها كانت ميتة وسبق أن نُشرت بالشمس أياما وأُضيف لها
الملح كي لا تفسد
الأسباب تجري على الناس ولا تجري على الله
ألم يشق البحر بعصا لموسى
ألم يخرج من الصخرة ناقة لصالح

ثم إن الخضر اشترط على موسى أنه إذا صحبه أن لا يسأله عما يراه منه
فوافق موسى
فلما ركبا في السفينة خرقها الخضر
فأنكر موسى على الخضر فعلته فكيف يُغرق سفينة قوم أحسنوا

إليهما وأركبوهما معهما!
فذكره بعهدهما القديم فاعتذر موسى
ثم سارا حتى لقيا غلاما صغيراً فقتله الخضر
فغضب موسى لفعل الخضر وأنكر عليه كيف يقتل طفلا بريئا بلا ذنب ولا جريرة
فذكره الخضر مرة أخرى بعهدهما القديم
ثم سارا حتى وصلا إلى قرية أهلها بخلاء لم يعطهم أحد كسرة خبز أو شربة ماء
فرأى الخضر جداراً على وشك أن ينهدم فأقامه
فقال له موسى : لو أخذت أجرة على عملك كنا اشترينا طعاما
فقال له الخضر : ﴿هذا فراق بيني وبينك﴾
وبدأ الخضر يشرح لموسى
فأخبره أن السفينة كانت لمساكين وكان وراءهم ملك يسلب الناس سفنهم فلو مر عليهم ووجد سفينتهم سليمة لأخذها منهم وانقطع سبب رزقهم
الدرس الخامس :
يبتلي الله بالصغيرة ليُنجي من الكبيرة
ولكن الإنسان لا يعلم ما رد الله عنه لأنه لم يره
مات أهل السفينة ولم يعرفوا أن الثقب منعهم خسارتها كلها
ثق أنه لولا لطف الله كانت الامور السيئة لتكون أسوأ
وإن الإنسان يحكم على ما يُشاهد
فكن حَسن الظن بالله
فقد رد كثيرا مما لم تشاهده

.

وأخبر الخضر موسى أنه سبق في علم الله أن الغلام لو كبر سيفتن
أبويه المؤمنين في دينهما
فقتله وهو لم يجر عليه قلم
وأخذ أبواه أجر الصبر
الدرس السادس :
إن كانت ثقب سفينة الفقراء جرَّ خيراً في الدنيا
فقتل الغلام كان لحساب الآخرة
انظر لرحمته
يصلح أمر الدنيا
ويكترث لأمر الآخرة
ما رضي أن يحول ولد عاق بينه وبين عبديه الصالحين
ما أغيره على عباده

ثم إن الخضر أخبر موسى أن الجدار كان ليتيمين كان أبوهما صالحا
وأنه لو انهار لحفر أهل القرية وأخذوا الكنز الذي كان تحته
فأقامه ليأخذه الأيتام بعد أن يكبروا

.

الدرس السابع
تأمين على الحياة!

يرسل الله عبدا أعطاه علما غزيراً
ونبيا من أولي العزم
ليقيما جدار أيتام كان أبوهما صالحا
ببركة الطاعة سخر الله عالما ونبيا
أمِّنوا على حياتكم ببنك رضى الله
يسخّر لمن بعدكم من يخدمهم

درس في الوفاء!

تُعَيِّرُنا أَنّا قَليلٌ عَديدُنا
فَقُلتُ لَها إِنَّ الكِرامَ قَليلُ
وَما قَلَّ مَن كانَت بَقاياهُ مِثلَنا
شَبابٌ تَسامى لِلعُلى وَكُهولُ
وَما ضَرَّنا أَنّا قَليلٌ وَجارُنا
عَزيزٌ وَجارُ الأَكثَرينَ ذَليلُ

اختلف دارسو الأدب الجاهليّ في قائل هذه الأبيات
فقد نُسبت لأكثر من شاعر!
والغالبية العظمى من الدارسين ينسبها للسموأل
وأنا أميل لهذا الرأي ، فالقصيدة تشبهه مبنى ومعنى
واختلاف النسابة في القصيدة له أسباب لسنا معها هذا الصباح على موعد!

السموأل شاعر عربيّ كان وقومه يهوداً!
والسموأل اسم مُعرّب من الاسم العبراني «شموئيل» وتعني الشخص الذي أسماه الله!
وهذا أحد الأدلة الكثيرة التي يُحتج بها أن العرب الأقحاح عرفوا التعريب في مرحلة مُبكرة!
وإن كان وقع في القرآن مُعرّب على أرجح الأقوال فهو عربيّ خالص

لأن من عرّبه هم أهل الاحتاج في اللغة فصار من لغتهم يُصرّف ويُعرب ويجري عليه ما يجري على اللفظ العربي

فالقرآن إذا كله عربيٌّ وليس فيه أعجمي

والمُعرّب لفظ احتاجه العرب فجعلوه من لغتهم وتحدثوا به دهرا قبل نزول القرآن

فمن قال أعجمي باعتبار الأصل صدق

ومن قال عربيٌّ باعتبار ما صار إليه صدق

ومن قال أن القرأن أتى بألفاظ أعجمية وفرضها على العرب ثم صار بهذا من لغتهم فقد جهل وخالف صريح القرآن

.

لا أدري ما قصتي مع الاستطراد هذا الصباح

فهذا ليس موضوعنا أيضاً ولكنّ الكلام جرّ بعضه بعضا!

.

وبالعودة إلى السمؤال

فإنَّ امرُؤَ القيسِ الشاعر العربيّ الشهير أَودعَ عِندَ السَّموألِ مالاً وسِلاحاً ودروعاً

وقصدَ قيصرَ -برفقَةِ صاحبِه عَمرو بن قميئةَ بن ذريحٍ بن سَعد بن مالك الثَّعلبي- ليسَاعِده على استرداَدِ مُلكِ أبيه

وأَنشَد في الدَّربِ إلى قَيصَر :

بَكى صَاحبي لَمَّا رأى الدَّربَ دُونَه

وأيقنَ أنّا لاحِقانِ بقيصَرا

فقلتُ له : لا تبكِ عينُكَ إنَّما
نُحاولُ ملكاً أَو نَموتَ فنُعذَرا

ثُمَّ إن امرُؤَ القيسِ بن حِجر مَات
فجاءَ ملكُ كِنده -الحارثُ بن شَمرٍ الغسَاني- يُطالبَ السَّموألَ بتركةِ امرئ القيس .
فأبَى السَّموألُ أَنْ يدفَعَها إلا لُمستَحقِيها . . .
وتَحصَّنَ السَموألُ لَمَّا رأى الشَّر في عيونِ ملكِ كِنده .
إلا أن الملكَ عثَر على ولد للسموألِ خارجَ الحِصنِ
فقَال له : إما أَنْ تدفعَ إلِيَّ بالتركَة أو ذبحتُه .
فقَال السَّموأل : إنَّ ذبحَ ولَدي أمامَ نَاظِريَّ أَهونُ عندي مِن أن تقولَ العربُ لقد خَانَ السَّموأل .
فذبحهُ ، ومضَى في سبيله!
ثُمَّ إنَّ العربَ إذا ارادتْ أن تُكْرِمَ أحداً على أَمانَتِه ،ووفَائِه ،قَالتْ : إنّ فُلاناً أَوفى من السَّموأل!

.

.

اليهود بالعموم أهل غدر وخيانة
قلّ أن يخرج منهم وفيّ
وفيهم قال الله ﴿وينقضون عهدهم في كل مرة﴾
ولكنا قوم أُمرنا بالعدل
فلا يجوز أن ننكر لذي فضل فضله بغض النظر عن جنسه ولونه ودينه ومعتقده

﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا﴾

.

إن كنا في غنى عن دين السموأل
فإننا فقراء لوفاء كوفائه
فقد تغيّر الناس كثيراً
يقول الحريري :
«تعامل القرن الأول فيما بينهم بالدِين زمانا طويلاً حتى رقّ الدين ، ثم تعامل القرن الثاني فيما بينهم بالوفاء حتى ذهب الوفاء ، ثم تعامل القرن الثالث فيما بينهم بالمروءة حتى ذهبت المروءة ، ثم تعامل القرن الرابع فيما بينهم بالحياء حتى ذهب الحياء ، ثم صار الناس يتعاملون بالرهبة والرغبة»
تراه ما كان سيقول لو عاش بيننا

.

.

إذا وعدتَ فِ
فقد قالت العرب : وعد بلا وفاء عداوة بلا سبب
وقال عوف الكلبيّ : آفة المروءة خُلف الوعد
وإن لم يقل الناس عن اخلاف الوعد غير ما قاله النبي «آية المنافق ثلاث» وذكر منها «وإذا وعد أخلف» لكفى
لا تقطع وعداً لا تستطيع أن تفي به
وإن كنت قادراً على الوفاء ثم تغيّرت حالك فلم تستطع أن تفيَ بوعدك فبيّن لمن وعدته عذرك

واستسمحه

فالاعتذار مجلاة القلوب

وإن كان حُبب للناس الوفاء والأوفياء

ومن طريف ما أنشد أبو فراس الحمدانيّ في الوفاء :

ومالي لا أثني عليكَ وطالما

وفيتَ بعهدي والوفاءُ قليلُ

وأوعدتني حتى إذا ما ملكتني

صفحتَ وصفحُ المالكين جميلُ

تعالي أكذبُ عليكِ

١

أنا بعدكِ بخير
لم يتحول قلبي إلى مضخة تافهة لأنكِ غادرته!
ووجهكِ لم يعد قِبلته وصار بإمكانه أن يتجه حيث شاء!
دمي بخير مذ كفَّ عن حملكِ والجريان بك في كل أنحاء جسدي!

شراييني لا تسأل عنكِ حين يعبرها دمي ولستِ فيه!
وخلاياي لم تقل لدمي : لستُ بحاجة لأوكسجينكَ هذا . . . آتِني بها لأتنفس!
الشهيق بعدكِ ليس محاولة غبية للاستمرار على قيد الحياة
والزفير ليس حاراً كما تعتقدين فلم يحرقني جمر رحيلكِ

.

.

٢

أنا بعدكِ بخير
أستطيع أن أعدّ إلى العشرة دون أن أستعين بأصابعكِ!
وأستطيع أن أعدّ إلى المئة دون أن أستعين برمشيك!
وأستطيع أن أعدّ إلى الألف دون أن أستعين بشعرك!
وأستطيع أن أعدّ إلى المليون دون أن أغشّ عن نبضات قلبك!
كما ترين أنا أتدبر أموري دونكِ

٣

أنا بعدكِ بخير
أُميّز بين النهار والليل فليست حياتي كلها ليل دونكِ!
الأمر يسير وليس كما كنتُ أظن
النهار ليس حين يُشرق وجهكِ وإن أشرق منتصف الليل!
والليل ليس حين تودعيني وإن ودعتِني عند الظهيرة!
عادت أوقاتي إلى رشدها!
الدقيقة معكِ كالدقيقةِ دونكِ
الدقيقة معكِ ستون ثانية والدقيقة دونكِ ليست ستين وجعاً!
الساعاتُ لا تحتاجكِ معي لتمضي بسرعة!

.

٤

أنا بعدكِ بخير
فصولي أربعة
خريفي أسقط كل أوراقي فلا تحسبي أن ما عرّاني هو غيابك!
وشتائي لا يحتاجكِ ليصير صيفاً في ثانية!
وربيعي ليس ضحتكِ
وفي الصيف أتدبر أمر سنابلي وحدي دون الحاجة لتحصدني نظراتك!

٥

أنا بعدكِ بخير
قهوتي مُرّة ويمكن الاستعاضة عنكِ وتحليتها بشيء من السّكر!
الجروح في يدي تشفى دون أن تمرري أصابعكِ عليها!
وقطعة الشوكولا حلوة وإن لم تلمس شفتيكِ كما اعتدتُ أن آكلها بعد أن تأخذي منها القضمة الأولى!
حتى ساعتي انضبطت على فراقكِ فلم تعد تُقدّم ولا تُؤخر فكما تعلمين كان كل شيء بي يسكر من رائحتك!

.

٦

أنا لا أفتقدكِ
لا أحتاج أن يخرج اسمي من فمكِ لأقتنع أنه يخصّني!
ولا أحتاج يدكِ في يدي لأقتنع أنها لي
ولا أحتاج أن أقول لكِ أحبكِ لأقتنع أني لستُ أبكماً
ولا أحتاج أن أكتب اسمكِ في مطلع الرسائل لأقتنع أني لستُ أمياً

.

٧

أنا لا أشتاقكِ
لا أشتاق لأنَ تمسكي يدي في الطريق وتقوديني كالضريرِ حيثُ شئتِ

لا أشتاق لتعقدي لي أزرار قميصي
لا أشتاق لصوتكِ
لا أشتاق للغمازة على خدكِ
لا أشتاق لعطرك
لا أشتاق لأصابعك ترسم حدود وجهي وتعلنني دولة مستقلة عاصمتها أنتِ!

.

٨
الحمقى الذين جاؤوا قالوا قبلنا : «يخلق من الشبه أربعين»!
وأنا أسامحهم بتسع وثلاثين امرأة يشبهنَكِ
وأبحثُ عن امرأة واحدة تشبهكِ لأقنع نفسي أن جنوني بكِ ليس مبرراً
أطوف الأرض بحثاً عن نسخة ثانية لكِ ولو كانت مُقلدة فلا أجد

.

٩
تعالي أصدُقكِ القول
أنا حين أقول لا أحبك . . . فإني أحبكِ
وحين أقول لا أشتاقك . . . فإني أشتاقكِ
وحين أقول لا أفتقدك . . . فإني أفتقدكِ

الوجه الآخر للصورة!

١

يُحكى أن مهرجاً كان ذائع الصيت لخفة دمه
يقصده المتفرجون من كل حدب وصوب
فقد كان بإمكانه إضحاك الصخرة الصماء!
غير أن المهرّج الذي كان يُضحك الآلاف كان حزيناً جدا في داخله!
قصد أمهر أطباء المدينة
وبعد رحلة علاج طويلة قال له الطبيب :
أنت لا تشكو أي مرضٍ عضويّ يا سيّد
على الأرجح أنك تعاني اكتئابا شديداً
سمعتُ أن في المدينة مهرجاً يجعل المتفرجين يقفزون عن كراسيهم لخفة دمه
أقترح أن تذهب وتتفرج عليه فربما أخرجك من حالتك!
نظر المهرج إلى الطبيب بعينين دامعتين وقال له بصوت حزين :
أنا ذاك المهرج يا سيدي!

.

.

٢

هناك وجه آخر للصورة
الساذجون فقط يكتفون بوجهها الأول
بائع الورد ليس رومانسياً كل ما في الأمر أنه يبحث عن لقمة لأولاده

والمصور الذي يطلب منك أن تبتسم لا تهمه ابتسامتك كل ما يهمه هو الصورة فقط!
الصياد الذي يجلس أمام البحر ساعات لم تهجره حبيبته ولكنه اعتاد أن يغرف رزقه من الماء
الطفل الذي يبيع الحلوى في الشوارع لا يكره الحلوى ولكنه يعرف أنه إن أكل حلواه فلن يجد في المساء رغيفا!
الفلاح لا تعنيه البيئة ولم يسمع يوما عن حزب الخضر إنه ببساطة يرى سنبلة القمح ريالاً وحبة التفاح على الشجرة ليرة وحبة وغصن الزيتون درهماً
المعلم ليس بالضرورة صاحب رسالة
والطبيب ليس بالضرورة ملاكا
يدفعنا تحصيل الرزق لفعل حاجات لا نستلذ بها
فحفار القبور لا يعتاش إذا لم يمت أحد!

٣

العباءة السوداء ليس بالضرورة أن تحتها امرأة فاضلة
واللحية الطويلة تغدو زيّ عمل أحيانا!
هناك عصاة يحبون الله ورسوله أكثر من دعاة كثر تعرفونهم
ولكنهم لم يجدوا من يأخذ بأيديهم إلى الله
ولكن الدعاة فُتحت لهم المنابر وشاشات التلفزة
أتعرفون لماذا ظهر المنافقون في المدينة
ذلك أن من اختار الإسلام في مكة اختاره على يقين منه أنه

يُعادي مجتمعاً كاملاً فلم يكن في الأمر وجاهة قط وكل ما كان في باله رضى الله ليس غير

أما في المدينة فقد صار الإسلام السلطة

فاختار البعض الإسلام كي يبقوا جزءاً من المعادلة

لهذا كان ابن سلول يصلي الفجر في المسجد!

٤

طبعا أنا لا أبرر للعصاة

وإنما أقترح أن نأخذ بأيديهم إلى الله

وهذه كانت وظيفة الأنبياء!

فلم يبعث الله نبياً إلا في جمع من العصاة

وإني لا أنتقص من الحجاب معاذ الله

ولكني على يقين أن كل واحد منكم يعرف سافرة لا ينقصها من الإسلام إلا الحجاب

ويعرف محجبة ليس فيها من الإسلام إلا الحجاب

ولا أنتقد اللحية ومعاذ الله أن أفعل

ولكن كل واحد منكم يعرف حليقاً لا ينقصه من الإسلام إلا اللحية

ويعرف ملتحياً ليس فيه من الإسلام إلا اللحية

كل ما في الأمر أني أردتكم أن تفتحوا أعينكم جيداً ولا تخدعكم الصورة التي ترونها!

كانوا قوماً ظُرفاء

١

قال معاوية بن أبي سُفيان يوما لأهل الشام
وكان عنده عقيل بن أبي طالب فأراد أن يمازحه :
هل قرأتم قول الله تعالى :
﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾
فقالوا : قرأنا
فأشار بيده إلى عقيل وقال :
أبو لهب عم هذا الرجل!
فقال عقيل :
هل قرأتم قول الله تعالى :
﴿وامرأته حمالة الحطب﴾
فقالوا : قرأنا
فأشار بيده إلى معاوية وقال :
حمالة الحطب عمة هذا الرجل!

٢

كانوا قوماً ظُرفاء
يتمازحون بأدب ويتنادرون من غير فحش
كانت قلوبهم تلين بالقرآن لله
ووجوههم تلين بالابتسامة للناس

وقد سُئل النخعيّ :
أكان أصحاب رسول الله يضحكون؟
فقال : نعم ، والإيمان في قلوبهم مثل الجبال الرواسي!
وكان نُعيمان بن عمرو بن رفاعة بن الحارث من أهل بدر
وكان أولع الناس بالضحك عند رسول الله
فقال النبي : «يدخل الجنة وهو يضحك»
كانوا يُقيمون حدود الله ولا ينسون حظهم من الدنيا
فهذا عمر بن الخطاب الحازم الصلب
يسمع ضوضاء في بيتٍ فيسأل :
ما هذه الضوضاء؟
فقالوا له : عرس يا أمير المؤمنين
فقال : فهلا قرعوا دفوفهم

٣

كانوا قوما ظُرفاء
يُقدّمون العظة الكبيرة على طبق من لطف
فهذا الفاروق يرى أعرابيا يصلي صلاة سريعة
فلا يتم ركوعا ولا يُحقق سجودا
ثم لما فرغ رفع يديه إلى السماء وقال :
اللهم زوجني الحور العين
فقال له عمر : لقد أقللتَ المهر وأعظمتَ الخِطبة!

وهذا الشعبيّ عامر بن شراحيل الكوفيّ
من كبار التابعين وكان فقيها شاعرا
ثقة روى عنه أصحاب الصحاح الستة
وولاه عمر بن عبد العزيز القضاء
كان خفيف الظل ، عذب الجواب ، حاضر النكتة
جاءه رجل يسأله عن المسح على اللحية
فقال له : خللها . أي أدخل أصابعك فيها
فقال الرجل : أخشى أن لا تبتل
فقال الشعبي : إن خفتَ ألا تبتلّ فانقعها من أول الليل!

وجاءه رجل فقال له :
إني تزوجتُ بامرأة فوجدتها عرجاء
فهل لي أن أردها
فقال له : إن كنتَ تريد أن تسابق بها فردها!

.

.

وذكر ابن الجوزي في أخبار الظّراف
أن الشعبي كان يوما واقفا مع امرأة يكلمها
فجاءه رجل وقال : أيكما الشعبيّ
فأشار الشعبي إلى المرأة وقال : هذه

وروى الشعبيّ مرّة حديث رسول الله ﷺ :
«تسحروا ولو أن يضع أحدكم اصبعه على التراب ثم يضعه في فيه»
فقال رجل من الحاضرين : أي الأصابع؟
فتناول الشعبي ابهام رجله وقال له : هذا

.

٤

كانوا قوما ظُرفاء
يستمعون الشعر ويستعذبونه ويُثيبون عليه
وقد روى ابن هشام في سيرته
أن كعباً بن زهير بن أبي سلمى
أنشد النبي قصيدته الشهيرة يستعطفه

.

بانت سُعاد فقلبي اليوم متبول
متيم إثرها لم يفد مكبول

.

فلما بلغ قوله :
نُبئتُ أن رسول الله أوعدني
والعفو عن رسول الله مأمولُ
إن الرسول لنور يُستضاء به

مهند من سيوف الله مسلولُ

.

خلع النبي بردته وكساه إياها

.

ويذكر المُبرّد في الكامل
أن ابن عباس سأل عمر بن أبي ربيعة أن ينشده شيئا من شعره
فأنشده قصيدته الغزلية والتي مطلعها :
أمِن آل نُعم أنت غادٍ فمبكرُ
غداة غدٍ أم رائح فمهجّرً
حتى أتمها في ثمانين بيتاً وحفظها ابن عباس من ساعته

.

٥
ما بالنا إذا صلى أحدنا ركعتين في المسجد قطّب حاجبيه
وإذا أطلق لحيته أمسك قلبه
وإذا قصّر ثوبه أطال لسانه
وإذا فتح كتابا أغلق باب ابتسامته
ما بالنا أعزة على المؤمنين
وننسى أنه لو كان فظا غليظ القلب لانفضّ الناس من حوله

.

إن هذا الدين يُسر فلا تعقّدوه

إن هذا الدين رحب فلا تًضيّقوه

إن هذا الدين حديقة غنّاء فلا تجعلوه صحراء

هذا سُليمان يبتسم لقول نملة وقد ملك الأرض ومن عليها

وهذا محمد يحضن جذعا اشتاق له وقد صعد إلى السماء السابعة

عن الحقوق والعقوق!

١

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب يشكو إليه عقوق ابنه
فأرسل عمر في طلب الابن
فلما حضر بين يديه قال له :
لماذا عقـقتَ أباك ، أما علمتَ أن لأبيكَ عليك حقاً يجب أن تؤديه إليه؟
فقال الابن : أوليسَ لي حقوق عند أبي يا أمير المؤمنين؟
فقال عمر : بلى
لك حق أن يختار لك أما لا تُعيّر بها
وأن يسميك اسماً حسنا
وأن يؤدبك ويربيك وينفق عليك حتى يشتد عودك
فقال الابن : إن أبي أنجب كل اخوتي من حرائر إلا أنا فإنه أنجبني من أمة وكانوا يعيروني بها على مسامعه وأنا صغير
وقد أسماني «جُعْلاً»
الجعل هي الخنفسة التي تجمع روث الحيوانات أكرمكم الله
وإنه من حداثة سني ما أرسلني لحلقة علم ولا دلني على حلال ولا حرام إنما كنت أرعى إبلا له!
فنظر عمر إلى الأب وقال له :
لقد عققته قبل أن يعقك!

.

٢

يقول جان جاك روسو :

قبل أن أتزوج كان عندي ست نظريات لتربية الأطفال أما اليوم فعندي ستة أطفال وليس لديّ نظريات لتربيتهم!

من النظريات الجميلة في علم التربية

هي التربية بالقصة!

وليس أدلَّ على أهميتها في التربية والتوجيه من أن النص القرآني زاخر بقصص الطغاة والعصاة والأنبياء والنساء والحيوان والممالك والأمم

والغاية من هذا الأسلوب أنه يحمل الفكرة المراد ايصالها بقالب تحبه النفس

فالإنسان يصغي للقصة بطبعه ويتقبلها

هذا في عالم الكبار

ففي عالم الصغار إن الأمر أهم وأكثر فائدة

فالأطفال يكوّنون في سن مبكرة منظومة قيم عن هذا العالم

وما تكوّن باكرا يصعب تغييره

ولكل قصة أبطال

والأبطال ما يلبثوا أن يصبحوا قدوات يريد الصغير الاحتذاء بها

لهذا يجب الحرص في اختيار القصص لأننا نختار لهم قدوات

قصة ماشطة ابنة فرعون أجمل من قصة سندريلا

وقصة بلقيس أجمل من قصة بياض الثلج

وقصة الغلام في أصحاب الأخدود أجمل من قصة روبن هود

وقصة أصحاب الكهف أجمل من قصة علي بابا

والأربعين حرامي
وقصة حب خديجة ومحمد أجمل من قصة نور ومهند
قصة الخضر وموسى أجمل من مغامرات السندباد
وقصة أصحاب الجنتين أجمل من أبطال الديجيتال
وقصة آسيا زوجة فرعون أجمل من قصة رابونزيل
وقصص فاطمة وعائشة والخنساء أجمل من فتيات القوة
خالد بن الوليد أعظم من جيفارا
وأبو بكر أعظم من مانديلا
وعمر أعظم من غاندي
وعثمان أعظم من بيل غيتس
سعد ابن أبي وقاص أعظم من نابليون
الخنساء أعظم من أغاثا كريستي
وخديجة أعظم من مارغيت تاتشر
الثقافة شيء مهم للطفل
ولكن الثقافة كالأوراق للشجرة
والجذور كانت دوما أهم من الأوراق
في سن مبكرة علينا أن نهتم بالجذور
لهذا كان تعليم العقائد أولا
وقد قال سيد المربين
«يا غلام إني معلمك كلمات
احفظ الله يحفظك»
وما زال يعلمه ان لا نافع إلا الله
ولا ضار إلا الله

وأن الناس أسباب ليس إلا

وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك

وما أصابك لم يكن ليخطئك

وأن الله كتب كل شيء في اللوح المحفوظ

وأنه رُفعت الأقلام وجفّت الصحف

دين المظاهر ومظاهر الدين!

١

سأل عمر بن الخطاب عن رجل ما إذا كان أحد يعرفه

فقام رجل وقال : أنا أعرفه يا أمير المؤمنين

فقال عمر : لعلك جاره ، فالجار أعلم الناس بجاره ، يرى طبائعه ويخبر أخلاقه

فقال الرجل : لا يا أمير المؤمنين

فقال عمر : لعلك رافقته في سفر ، ففي الأسفار تتبدى الطباع ، وتظهر الأخلاق

فقال الرجل : لا يا أمير المؤمنين

فقال عمر : لعلك تاجرت معه وعاملته بالدرهم والدينار ، فعند الدراهم والدنانير يُعرف أبناء الدنيا من أبناء الآخرة

فقال : لا يا أمير المؤمنين

فقال عمر : لعلك رأيته في المسجد يهز رأسه قائما وقاعداً

فقال الرجل : أجل يا أمير المؤمنين

فقال عمر : اجلس فإنك لا تعرفه

.

٢

كان ابن الخطاب يُحذّرنا منذ ١٤٠٠ سنة عن ظاهرة نعيشها اليوم

لقد كثُر دين المظاهر

وقلّت مظاهر الدين!

نحن الذين كان من المفترض أن نتخذ السواك سُنة فاتخذناه مِسناً نشحذ فيه أسناننا لنأكل لحوم بعض!

نحن الذين إذا أردنا أن نطيل أيدينا أطلنا لحانا فحولناها في عيون الناس وعقولهم من سُنة إلى متراس يختبئ خلفها لصوص كثُر

نحن الذين نبني المساجد التي تتسع للآلاف وفي صلاة الفجر لا يكتمل الصف الأول!

نحن الذين نشتري صحيح البخاري لأن منظره في المكتبة يوحي بأن أحدنا حبر الأمة

وحبذا لو كان «فتح الباري شرح صحيح البخاري» فقد جعل ابن حجر عدد الكتب أكثر!

نحن الذين نحج لنكتب اللقب على لافتة البقالة فيعرف الناس أن هذا المحل يخص الصادق الأمين

نحن الذين نكتب عن الحب ونكره كل من حولنا

نحن الذين نريد العدل ونظلم كل من تحت أيدينا

نحن الذين نكتب عن زوجاتنا في مواقع التواصل كأننا مجنون ليلي

ونعاملهن في البيوت كأننا أبو جهل

نحن الذين نُظهر عكس ما نُبطن

وهذا ليس إلا تعريفا مقتضبا للنفاق!

٣

لطالما آمنتُ أن الكفر الصريح أفضل من الإيمان الكاذب! وفي كليهما شر!

والإيمان ما وقر في القلب وصدّقه العمل

نريد دينا يترك أثراً في سلوكنا

نريد أن يلحظ الناس الفرق بين المعلم المتدين وغير المتدين

بين التاجر المتدين وغير المتدين

بين الزوج المتدين وغير المتدين

بين الزوجة المتدينة وغير المتدينة

مصيبة أن لا يكون لنا من حجنا إلا المسابح وسجاجيد الصلاة ووجبات البيك

مصيبة أن لا يكون لنا من صيامنا إلا الجلاب والتمر هندي وباب الحارة

مصيبة أن تكون صلاتنا رياضة وتحريكا للمفاصل ونحن نتلو ﴿تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ ولا ننتهي

الدين الذي حوّل رعاة الغنم لقادة أمم في سنوات قليلة ما زال أمامها علم الاجتماع مُصابا بالذهول قادر أن يفعل بنا ما فعل بهم

ولكنهم أسلموا أنفسهم لله

أحبوا ما أحبّ وكرهوا ما كره

عبدوه كما أراد

وجاؤوه من حيث أمر

إن لم تكن «أحمد» كن «أبا الهيثم»!

١

يقول عبد الله بن أحمد بن حنبل :
كثيرا ما كنتُ أسمع أبي يقول :
اللهم اغفر لأبي الهيثم
اللهم ارحم أبا الهيثم
فقلتُ له : ومن أبو الهيثم يا أبت؟
فقال : رجلٌ من الأعراب لمَ أرَ وجهه!
الليلة التي سبقت جَلدي وضعوني في زنزانة مظلمة
فوكزني رجل وقال : أأنتَ أحمد بن حنبل؟
قلتُ : أجل
قال : أتعرفني؟
قلت : لا
فقال : أنا أبو الهيثم اللص ، شارب الخمر ، قاطع الطريق ، مكتوب في ديوان أمير المؤمنين أني جُلدت ثماني عشر ألف جلدة متفرقة وقد احتملتُ كل هذا في سبيل الشيطان
فاصبر أنتَ في سبيل الله يا أحمد!
ولما أوثقوني وبدأ الجلد كنتُ كلما نزل السوط على ظهري تذكرتُ كلام أبي الهيثم وقلتُ في نفسي : اصبر في سبيل الله يا أحمد!

٢

إن لم تكن ابن حنبل فكن أبا الهيثم!
أحب الحق ولو كنتَ غارقاً في الباطل
أحب أهل الطاعة ولو كنت غارقاً في المعصية
كن لله مهما نال الشيطان منك
إذا سرقتَ فلا تقل إن الذين لا يسرقون جبناء فالطاعة تحتاج إلى شجاعة أكثر من المعصية
إذا زنيتَ فلا تقل إن الذين لا يزنون ليس لديهم شهوات فالبعض يتركون ما يشتهون مع قدرتهم عليه لله فقط
إذا هجرت المساجد فلا تقل أن المصلين يصلون رياءً كل رواد صلاة الفجر يحبون النوم ولكن أيقظهم حبهم لله
إذا أفطرتَ في رمضان فلا تقل إن الصائمين لا يجدون ما يُفطرون عليه من الصائمين من يستطيع شراء قوت مدينة
إذا شربتَ الخمر فلا تقل إن الذين لا يشربونها ليس لديهم مزاج ولا كيف في هذا الكوكب أناس طوعوا أمزجتهم كما يحب الله
إذا أكلتَ لحوم الناس بالغيبة فلا تقل إن الناس ليس لديهم ما يتحدثون عنه . الكثيرون يرون أن لا أحد يستحق أن يهبوه حسناتهم مهما كانت أخبارهم جديرة بالتداول
إذا مشيتَ بالنميمة بين الناس فلا تقل أن الآخرين لا يعرفون من أين تؤكل الكتف . من الناس من لو أراد أن يوقع الخصام بين أهل بلد لأوقعه ولكن شغله أمره عن أمر الناس

٣

من قال لك أن المحجبة جاهلة بالموضة

من قال لك أن الملتحي لا يملك ثمن شفرات حلاقة

من قال لك أن الذي يدفع الزكاة لا يُقدّر قيمة المال

من قال لك أن الذي يحسن إلى زوجته خروف

من قال لك أن التي تصبر على زوجها جبانة

من قال لك أن التي لا تتبرج ليس عندها مكياج

من قال لك البار بأبويه أرنب

الأخطاء الطبيّة

١

قال بشر بن الفضل :

خرجنا حجاجاً فمررنا بمياه من مياه العرب

فوُصِف لنا فيه ثلاث أخوات فائقات الجمال

وقيل لنا إنهن يُطببن ويعالجن

فأحببنا أن نراهن

فعمدنا إلى صاحب لنا فحككنا ساقه بعود حتى أدميناه

ثم رفعناه على أيدينا

وقلنا : هذا سليم فهل من راق

والعربُ تُكنّي عمن لدغته أفعى بالسليم تيمناً بشفائفه

وأيضا سموا القافلة بهذا الاسم تيمنا برجوعها

فخرجت أصغرهن فإذا جارية كالشمس الطالعة

فجاءت حتى وقفت عليه

فقالت : ليس سليما

قلنا : وكيف

قالت : هذا خدش عود بالت عليه حية ذكر والدليل أنه إذا طلعت عليه الشمس مات

فلما طلعت الشمس مات فعجبنا من ذلك .

٢

لا نريد طبيبات بجمال الأعرابية وإن كان هذا لا يضر!
ولا نريد أطباء يشخّصون حالة المريض بعد أول نظرة وإن كان هذا لا يضر أيضاً!
كل ما نريده أن لا نزور عشرة أطباء في مرض واحد
مصطحبين معنا إلى كل طبيب جديد وصفة الطبيب القديم
ولا يقول لك : من الحمار الذي وصف لك هذا الدواء!
وإن لم يقلها لك بهذا اللفظ قالها بهذا المعنى
الجميل بالموضوع أن هذا ما سيقوله عنه من بعده!
هذا أفظع خطأ يقع فيه الأطباء
لأنه خطأ أخلاقي
إن استطعت أن تصلح ما أفسد من قبلك فهذا جميل
وإن لم تستطع وخجلت أن تخبرني أنك لا تستطيع أن تشخص حالتي
فاكتب لي أي دواء من الأدوية التي تتقاضى عائدا ماديا نظير وصفها للمرضى!
وليكن هذا بكل أدب
فأنا سأشتري الدواء الذي وصفته ولو لم تخبرني أن من عالجني قبلك حمار
بالمناسبة لو لم أكن متأكدا من هذا لما تركته وأتيت إليك
فتأدبوا!

٣

كانَ ببَغدَادَ طبيبٌ اسمُه نُعمَان لا ينجُو مريضٌ من تحتِ يدَيه
فقَالَ فيه بعضُ الشُّعراءِ :
أقُولُ لنُعمـانَ وقد سَاقَ طبّه
نفُوسـاً نفيسَاتٍ إلى داخَلِ الأرضِ
أبَا مُنذرٍ أفنيتَ فاستبْقِ بعضَـنا
حنَانيْكَ بعضُ الشَّرِ أهونُ من بعضِ
في الحقيقة إن أبا المنذر لم يمت
فمن «خلّف ما مات»
تعرض صديق لي لحادث
فنزع الطبيب طحاله
وتبين لاحقاً أنه يمكن تفادي الأمر
وعقّب الطبيب على ذلك
بأنه يمكن أن يعيش بدونه
وبالمناسبة هذه معلومة صحيحة
وهو الآن حي
ويمارس حياته بشكل طبيعي
ولكن لا أدري لما يذكرني هذا الطبيب بالميكانيكي الذي يصلح السيارة ثم يخبرك أن هذه البراغي التي تفوق العشرين ليس ضرورية
أنا أصدق أن اليابانيين قد يضعون في السيارة عشرين برغيا ليس لها داع
يضعونها هذا زكاة عن الشركة
أو كما تقول جدتي : «دفع بلاء»

ولكن يستحيل أن أصدق أن الله يخلق في كائن عضوا لا يحتاجه
ولكن الفرق أن هناك أعضاء خسارتها تؤدي إلى الموت
وأخرى لا
تماماً كالسيارة عند الميكانيكي
لا تسير السيارة دون «جوان الكولاس» مثلا
ولكنها تسير دون العشرين برغي
والسبب أن هذه زكاة كما أخبرتكم وهي من حق الميكانيكي

.

.

٤

طبعا الخطأ وارد
وكل من يعمل يخطئ
ولكننا بشر ولسنا آلات
ما زلنا نسمع أنهم نسوا مقصا في بطن رجل
ما زلنا نسمع بجرعة بنج زائدة دخل المريض بعدها بغيبوبة وكل ما كان يريده نزع كيس دهن من كتفه مثلا
لا نريد أن يكون العلاج أكثر ضررا من المرض نفسه
يوجد أطباء كثر رائعون
يعرفون مهنتهم جيداً
أو لنقل رسالتهم
لأن الطب كالتعليم رسالة

٥

ليس عيبا أن لا تعرف علاجا للمريض العيب أن تجعله حقل تجارب
ليس عيبا أن تطلب فحوصات قبل وصف الدواء العيب أن تفعل العكس
ليس عيبا إن زارك مريض فاكتشفت أنه يحتاج طبيبا في غير تخصصك أن ترشده إلى طبيب متخصص في حالته
هذه قمة الأخلاق بالمناسبة
ليس عيبا أن عرفت أن المريض فقير أن تخفض تسعيرتك
واحتسب هذا زكاة علمك
لكل شيء زكاة تماماً كالبراغي التي يضعها اليابانيون في السيارة!

دروس زوجية «محمد» وخديجة

١

كان عمرها أربعين سنة

وكان عمره خمسة وعشرين

كان عندها من القلب ما يكفي لتنزل إليه

وكان عنده من العقل ما يكفي ليصعد إليها

فعاشا سعيدين!

الدرس الأول :

مهم أن تملك أسباب الحياة

ولكن الأهم أن تعرف كيف تعيش!

وحين تعثر على الشخص المناسب

لا تضيّعه بالتدقيق في التفاصيل

الفروقات يمكن تذويبها!

يمكن لاثنين أن يصبحا واحداً

في حين أن كثيرين تزوجوا لأنهم متشابهون

فأنجبوا فوارق كثيرة

وظلوا رغم تشابههم اثنين!

لا تلتفتوا للزمن كثيراً لأن الحياة تجارب!

البعض تشيب رؤوسهم ويبقون أطفالاً

والبعض شباب نضجت عقولهم على نار التجارب!

٢

كانت غنية جداً

ولكنها كانت تشعره أنه أغلى ما تملك

وكان فقيراً جداً

ولكنه كان يشعرها أن مالها أقل ما تملك!

الدرس الثاني :

أعقد زواجا ولا تعقد صفقة!

اياك أن تتزوج امرأة لمالها

تعيس من يتزوج خزنة

يمكنك أن تخدعها بعض الوقت

ولكنك لا يمكن أن تخدعها كل الوقت

فمتى اكتشفتْ أنك أردتها سيدتك

فستعاملك على أنك عبدها

إياكِ أن تتزوجي رجلاً لماله

كل أسرّة العالم الفاخرة لا تساوي اغفاءة امرأة على صدر رجل تحبه لأنها تحبه فقط

كل المجوهرات والعقود ستصبح بلا حب أغلالا من ذهب

كل الخدم والحشم لا يساوي شيئا أمام فنجان قهوة تعده امرأة بنفسها لرجل تحبه

لأنها تحبه

سيأخذك للمسارح لتشاهدي مسرحيات فكاهية لكنه لن يشتري لك ضحكة

سيشتري لك هدايا كثيرة ولكنك لن تشعري بما تشعر به امرأة

يهديها زوجها وردة كأنما قطفها من حديقة قلبه

.

٣

عندما نزل عليه الوحي وأصابه الخوف والبرد
كان عنده قبيلة كبيرة
وكان عنده أقرباء كثر
وكان عنده أصدقاء مخلصون
ولكنه احتمى من خوفه بامرأته
وتدفأ من برده بحضنها
كان كأنما يقول لها :
أنتِ قبيلتي!
الدرس الثالث :
إذا حزنت اذهب إليها بحزنك
إذا تعبت اذهب إليها بتعبك
ليس في الأمر انتقاصا للرجولة أن تشكو لها
ليس في الأمر انتقاصا للرجولة أن تشركها في أمرك
خُلقت من ظلع أعوج قرب القلب!
خُلقت لتكون لك وطنا وقبيلة
أرها أنك تستحق
فستريك أنها حقا وطنك وقبيلتك
وأنتِ
كوني معه ولا تكوني عليه

يوم جاءها يرتجف
أخذته إليها
وهدأته وطمأنته أن الله لن يخزيه
إن جاءك يشكو ماله أخبريه أنه ثروتك
وإن جاءك يشكو أهله أخبريه أنه أهلك
إياك أن يحتاجك ولا يجدك
الرجل طفل كبير
يحتاج لصدر حنون يلجأ إليه
أكثر من حاجته إلى مدفع يقاتل به
كوني وطنه يكن مواطنك الصالح
كوني أمه يكن طفلك
كوني أمته يجعلك سيدته
جميل أن تكوني جميلة ومتعلمة ومثقفة
ولكن لا تنسي أن تكوني امرأة
الأنوثة سلوك لا شكل

.

٤

بعد أن ماتت بسنوات طويلة
رأى صاحباتها فخلع رداءه وفرشه لهن ليجلس
وقال لمن معه :
هؤلاء صويحبات خديجة
كانت امرأة لا تُنسى

وكان وفياً لا ينسى
كانت تُحب من أحبّ
وكان يُحبّ من أحبتْ
وعندما قالت له عائشة :
«أما زلت تذكر خديجة وقد أبدلك الله خيراً منها»
كان بإمكانه أن يراعي الحي على حساب الميت
ولكن الوفي لا ينسى
لا ينسى امرأة كانت يوما قبيلته
كانت أباه الذي لم يعرفه
كانت أمه التي ماتت وتركته صغيرا
كانت إخوته الذين لم ينجبهم أبواه
كانت أعمامه وأخواله
وكان وفياً لا ينسى
فاختار أن ينصفها ميتة
«والله ما أبدلني الله خيراً من خديجة»

أجرؤكم على الفتوى أجرؤكم على النار!

يُحكى أن حكيماً من حكماء العرب في الجاهلية
كان مقصد المتنازعين
يحكم بينهم براجح عقله
وقِبلة الحائرين
يؤنسهم بحكيم رأيه
قصده ذات يوم أربع إخوة في قضية إرث
فقالوا له :
مات أبونا عنا نحن الأربعة
وتركنا خلفنا إنسان ما ندري أهو أخ أمْ أخت!
عنده عيب خَلقي إذ له عضو مؤنث وعضو مذكر
وما ندري أنورّثه إرث الرجال أمْ إرث النساء!
فحار الحكيم في أمرهم
وأشار عليهم أن يبقوا في ضيافته ريثما يجد لمسألتهم جوابا
وأمر خادمة له أن تكرمهم كعادة العرب إذا نزل بهم ضيف
ومرت الأيام
ليل يطويه نهار
ونهار يطويه ليل
والخادمة تقوم على أمر ضيافتهم
وقد أنهكها هذا الأمر
وبعد أن أتموا شهراً
جاءت الخادمة إلى الحكيم وقالت له :

لقد أتم ضيوفك شهراً
وأرى أنك قد حبستهم
فلا أنت أجبتهم في مسألتهم
ولا تركتهم يعودون إلى أهلهم
فما شأنك وشأنهم
أخبرني لعلي أجد لك حلاً
ضحك الحكيم وقال لها :
إن عجزت أنا في أمرهم فأنتِ عن هذا أعجز
فقالت له :
أخبرني فلعلي أرى في أمرهم ما لا تراه
فما كان منه إلا أن أنبأها بخبرهم
فقالت له :
الأمر يسير أيها الحكيم
فلينظروا لمن خلّفوه وراءهم
فإن كان يبول واقفا ورّثوه إرث الرجال
وإن كان يبول قاعدا ورثوه إرث النساء!
فسُرّ الحكيم برأيها ونزل فيهم على حكمها!
ومضى الأربعة إلى أهلهم

٢

إن كان أمر الخادمة يدعو للاعجاب
فإن أمر الحكيم يدعو للاعجاب أكثر

فهو كان مشركاً
كان لا يرجو جنة ولا يخاف ناراً
ولكنه تورّع عن الحكم في مسألة ليس عنده علمها!

٣
مشكلتنا أننا في داخل كل منا مُفتٍ
كل واحد منا أمام أية مسألة فقهية يصبح حبر الأمة
وترجمان القرآن
إذا مرضنا ذهبنا إلى الأطباء
إذا أردنا أن نبني بيتا ذهبنا إلى مهندس
وإذا تعطلت سياراتنا ذهبنا إلى الميكانيكي
إذا طاف الماء فزعنا إلى سباك
أما إذا أشكل علينا أمر فقهي فكلنا مُفتون!

٤
مما يدعو للعجب أننا نبرر تصدينا للفتوى
بأن الإسلام قد فتح باب الاجتهاد
وأن من اجتهد فأخطأ فله أجر
ومن اجتهد فأصاب فله أجران!
وهذا جهل مركّب!
الإسلام فتح باب الاجتهاد بمسائل تستجد لم يُصدر فيها حكمه

لأنها لم تكن قضية راهنة وقت كان الإسلام يُصدر حكمه في الأشياء

وقد أطلق العقل

ولكنه في المقابل وضع قيوداً وضوابط في قضية الاجتهاد

فالمجتهد لا بد أن تتوفر فيه صفات

أوّلها أن يكون ذا علم أن الإسلام لم يعطِ حكمه في المسألة!

ثانيها أن يكون عالما بحكم الإسلام في أشباهها من القضايا

وثالثها أن يكون عالما بالكتاب والسنة ولغة العرب

ورابعها أن يكون عالما بأصول الفقه ولا يكفي أن يعرف كيف يتوضأ!

من أفتى في أمر لا يعرف حكمه عن جهل منه فحكم الإسلام فيه ما يلي :

إن أصاب فله إثم

وإن أخطأ فله إثمان!

٥

جاء رجل من أهل العراق إلى الإمام مالك يستفتيه في مسائل كثيرة

فأفتاه في بعضها

وأمسك عن بعضها

فسأله العراقي : ما أقول للناس في هذه يا مالك

فقال له : قل لهم إن مالك لا يعلم!

ليس في الأمر عيب أن يقول أحدنا : لا أعلم

ومن قال الله أعلم فقد أفتى
وإن كان للرجال في الفتاوى باب واسع
فللنساء باب أوسع
عندما يقضون على ركوة القهوة في جلسة الغيبة الصباحية
وينتقلن من المسلسل إلى الطقس إلى طبخة اليوم
يبدأ برنامج فتاوى الصباح
تصبح كل واحدة منهن مفتية
وإذا أرادت ان تُبطل فتوى جارتها قالت لها : هذا حديث ضعيف
رحمك الله يا الألباني
وقد يكون الحديث في البخاري وقائلته لا تعلم
وجارتها التي لا تعلم أيضاً تريد أن تدلي بدلوها في المسألة
وكأن الأمر كعك العيد!
هذا بخصوص المُفتين
أما بخصوص المُستفتين
إن لهذا الدين أهله
وأهله العلماء لا العُباد
فإن أشكل عليك شيء في أمر دينك
خذه عن العلماء
ولا تأخذه عن العُبّاد
ومن باب أولى أن لا تأخذه عمن ليس عالماً ولا عابداً

مكة!

١ . تحذير :

قبل أن تأتيَ مكة عليك أن تعرف أنه يمكنك أن تغادرها متى شئت
ولكن مكة لن تغادرك!
ستحزمها في حقيبة قلبك
ستصعد بها إلى الطائرة
ستخفيها عن رجال الأمن والجمارك
ستشعر بسعادة عارمة أنك قد سرقت مدينة ولكنك ستكتشف
لاحقاً أن مكة هي التي سرقتك من نفسك
مكة لا تُنسى
لها عشاق كثر
ولكن رغما عنك ستكون حبيبتك!

٢ . توصيف :

مكة ليست أجمل المدن
ولكنك حين تشتاق إليها سترى باريس خرابة
مكة ليست أنظف المدن
ولكنك حين تشتاق إليها سترى لندن مزبلة
مكة ليست الأجمل والأنظف والأرقى
ولكن فيها سحر لا يوجد في مدينة أخرى

لقد غلّفها إبراهيم بدعوة :
«واجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم»
إن أصابتك دعوته فودّع قلبك
مكة مرض لا يمكن الشفاء منه
مكة سحر لا يفكه إلا مكة!

٣ . تشخيص :
مكة ليست مكاناً فقط
مكة زمان أيضاً
ستؤرّخ بها!
ستقول قبل مكة وبعد مكة
وستعني بهذا الزمن الذي طرأ فيه تغيير في علاقتك بالمدن
قبل مكة كنتَ تسكن المدن
بعد مكة أي مذ صارت مكة تسكنك!

.

٤ . تنويه :
إذا أردت أن تستمتع بجغرافيا مكة عليك أن تفهم تاريخها
غير أن الأمر أكبر من الجغرافيا والتاريخ
الأمر دِين

الكعبة ليست غرفة نطوف حولها
عش تاريخها
تخيل الملائكة وهي تبنيها
تخيل الطوفان يُغرقها
تخيل اسماعيل يناول أباه الحجارة ليبنيها من جديد
تخيلهما يحباك قبل أن يعرفاك
«وابعث فيهم رسولاً منهم»
تخيله بأبي هو وأمي حيث الآن انت تطوف
ينادي فيهم «اذهبوا فأنتم الطلقاء»
أما تخجل بعدها أن تكمل طوافك وفي قلبك غل على مسلم
الكعبة ليست غرفة
والطواف ليس لفاً وبرماً
الأمر أكبر من هذا
الأمر عبادة
وفهم العبادة يحولها من مشقة إلى متعة!
السعي ليس رياضة لتخسيس الوزن
وزمزم ليس ماءً ينصح به
الأطباء فقط
الأمر أكبر من هذا
تخيل هاجر يضعها زوجها في صحراء لا أنيس فيها ولا ماء ولا شجر
ويمضي مخلفا إياها مع طفل رضيع
فتقول له : آلله أمرك أن تتركنا ههنا

فيقول لها أجل
فتجيبه اذهب فلن يضيعنا الله
تخيلها وقد نفد منها الماء
تخيلها تصعد الصفا وتهبط المروة
قلبها معلق برضيعها
وعقلها يمنيها بعابر يعطيها شربة ماء
تخيلها وقد يئست إلا من رحمة الله
تخيلها تقول للماء زمي زمي

٥

الكعبة ليست غرفة
الطواف ليس لفاً وبرماً
السعي ليس رياضة للتخسيس
وماء زمزم ليس مجرد ماء ينصح به الأطباء
الرجم ليس مجرد رشق حصوات
الأمر فيه شيء من جغرافيا
وفيه شيء من تاريخ
الأمر أكبر منهما جميعاً
الأمر دِين

وقفات مع حامي الجراد!

يُحكى أن أحد الأعراب في الجاهلية سمع ضجة وجلبة خارج خيمته

فخرج فزعاً ينظر ما الأمر

فوجد جماعة من قومه قد حملوا عصيّهم

فقال لهم : ما الأمر؟

فقالوا : كنا نلاحق سرب جراد وقد فرّ منا وحطّ رحاله في فيء خيمتك ونحن نريده

فدخل خيمته مسرعاً وخرج شاهراً سيفه وقال لهم :

جراد احتمى بي كيف أسلمه لكم

ووقف يحرس سرب الجراد حتى تحرّك الظل وحمي الرمل وطار سرب الجراد

عندها التفتَ إليهم وقال :

الآن أنتم وما تطلبون

ودخل خيمته!

ومن يومها إذا أرادت العرب أن تمدح أحداً بالحميّة قالت :

فلان أحمى من حامي الجراد!

.

الوقفة الأولى :

الجاهلية هو مصطلح يُطلق على الفترة الزمنية التي عاشها العرب

قبل البعثة الشريفة .
والمقصود بها الجاهلية الدنيّة ، فالقوم كانوا بغالبيتهم الساحقة عُبّاد أصنام وأوثان
والوثن هو كل ما عُبد من دون الله سواء كان على هيئة شيء أم لم يكن
والصنم هو ما عُبد من دون الله وكان على هيئة شيء
فالوثن إذا مصطلع عام والصنم مصطلح خاص
كانوا يصنعون آلهتم من حجارة وخشب ثم يعبدونها
وقد يصنعوها من تمر أول النهار ويأكلوها آخره!
ولكن العرب وإن عرفوا الكثير من الرزايا الأخلاقية حالهم حال كل المجتمعات وقتذاك
إلا أنهم بالمقابل كان عندهم أخلاق رفيعة
كانوا كرماء يبذلون للضيف أجود طعامهم ويؤثرونه على أهل بيوتهم

كرهوا الغدر وأحبوا الوفاء
وعدوا الكذب من خوارم المروءة
شجعان تحارب القبيلة كلها لأجل الواحد
لا يدعون ثأراً ولا ينامون على ضيم
يتغنون بمكارم الأخلاق
وينزلون الناس منازلهم
ويردون الحق لصاحبه ما استطاعوا إليه سبيلاً وقد أنشأوا حلف الفضول لرد المظالم وقال عنه سيد الناس :
«لو دُعيت لمثله في الإسلام لأجبت»!

.

الوقفة الثانية :

إن لم يكن الآخرون أهلاً للمعروف فأنت أهله!

ولا تُعامل الناس بالأخلاق لأنهم يستحقون

بل عـاملهم لأنك أخـلاقك أغلى من أن تتنازل عنـهـا ولو أمـام شخص بلا أخلاق!

الوقفة الثالثة :

سرب الجراد ربما لا يستحق أن يُحرس بسيف

ولكن لو تأملنا لوجدنا حامي الجراد لم يكن يحرس السرب بقدر ما كان يحرس مبدأه!

فلا تكن انتقائيا

الحياة مبادئ فابحث عن مبادئك تجد حياتك

لا تجعل لكل حدث مبدأً

في الحقيقة هذا لون من ألوان النفاق

ولكن اجعل لك جملة مبادئ

تقيس بها المواقف

إذا كرهت الظلم

عليك أن تكرهه ولو فعله أقرب الناس إليك

وإن أحببت العدل عليك أن تحبه ولو فعله أبغض الناس إليك!

الوقفة الرابعة :

من يسرق رغيفا يسرق مدينة!

فالأمانة مبدأ بغض النظر عن كمية الشيء المسروق

والصدق مبدأ بغض النظر عن حجم الكذبة وهوية المكذوب عليه

وقد كان سيد الناس «لا يمزح إلا صادقاً»

لهذا لما ارتحل البخاري لطلب حديث من رجل وجده قد أومأ لحماره

أن في حجره طعام له كي يطاوعه ويمشي

فتركه ولم يأخذ عنه

لأنه اعتبر أن من يكذب على حمار سيكذب على إنسان

نحن على يقين الآن أن حامي الجراد ما كان ليخيّب ظن انسان احتمى به

فمن لم يخذل جرادة لن يخذل انسانا

إن الامور الكبيرة لها مؤشرات صغيرة!

استعمال هاتف العمل لأغراضك الشخصية

على بساطته خيانة للأمانة

هذا يعني أن عندك استعداد أن تنتفع بكل ما يقع تحت يدك ولو لم يحق لك

قد أبدو مثالياً بكلامي

ولكني لستُ كذلك بأفعالي

أنا أيضاً أستخدم لمصلحتي أشياء صغيرة لا يحق لي استخدامها

ولكن ما كان لي أن أجعل الخطأ صواباً لأني أرتكبه
وقد قدِم على عمر بن عبد العزيز أحد ولاته
فأخذ عمر يسأله عن حال الرعية
وأمور الناس
ولما فرغ منه
التفتَ إليه الوالي وقال له :
وأنت كيف حالك يا أمير المؤمنين
فقال له انتظر!
وقام وأطفأ القنديل الكبير وأضاء قنديلا صغيراً
فسأله الوالي : لمَ فعلت هذا
فقال له : القنديل الأول من بيت المال وزيته من مال المسلمين وكنا ندبّر أمرهم
أما وقد فرغنا فما يحق لي
أنت تسأل عن حالي وما كان لي لأجيبك تحت تحت ضوء قنديلهم
أنا بخير والحمد لله!

صباح الخير هنا عرفة

١

صباح الخير هنا عرفة
الرحمن وضيوفه!
دعاهم فإذا بهم من كل حدب ينسلون
نادى عليهم فإذا بهم من كل فج عميق يأتون
فباهى بهم ملائكته :
عبادي أتوني شعثا غبراً
أجل عبادك يا الله
الفقراء إن لم تُغننا
الضعفاء إن لم تُقوّنا
الأذلاء إن لم تعزنا
المتفرقون إن لم تجمعنا
المهزومون إن لم تنصرنا
المكسورون إن لم تجبرنا

٢

صباح الخير هنا عرفة
يسأل الله ملائكته : ماذا يريد هؤلاء؟
أنت أعلم بهم من أنفسهم يا الله
سمعوا أن سوق العتق قد قام

فجاؤوا يبيعون ذنوبهم ويشترون مغفرتك
عرفوا أن البيع لك والشراء منك تجارة رابحة
فلا تفضّ السوق يا الله إلا وقد اشتريتَ الذنب وبعتَ المغفرة
وأتممت العتق

.

٣

صباح الخير هنا عرفة
هنا سيد الناس يخطب في الناس :
«كلكم لآدم وآدم من تراب»
فلا تتكبروا
هنا الرحمة يقف عند جبل الرحمة :
«إن دماءكم وأعراضكم وأموالكم عليكم حرام إلى يوم القيامة
كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا»
هنا سيد الرجال يوصي خيراً بالنساء!
ثم يسأل : ألا هل بلّغت
أجل نشهد أنك قد بلّغت
لم تترك خيراً إلا دللتنا عليه
ولم تترك شراً إلا وحذرتنا منه
لم تنهَ عن شيء إلا وكنتَ أول من ينتهى عنه
ولم تأمر بشيء إلا وكنتَ أول من يفعله!
نشهد أنك قلت :
«لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتُ يدها»

نشهد أن أول دم وضعته دم ابن عمك
ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب الذي كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل
ونشهد أن أول ربا وضعته ربا عمك العباس بن عبد المطلب
أجل قد بلغت الرسالة وأديتَ الأمانة
فجزاك الله عنا خير ما جزى رسولا عن رسالته
ونبيا عن أمته

.

٤

هذه عرفة يا الله
فاتنا الوقوف بها هذا العام
ولكن لم يفتنا الوقوف ببابك
جئناك بذنوبنا يا الله
نسألك سؤال من نعلم أنه لا يرد سائلا
أن تعتق رقابنا من النار
جئناك بعيون نظرت إلى حرام
وبآذان سمعت لغيبة
وبأسنان لاكت لحوم الناس
وبألسن خاضت في أعراض
وبأيدي امتدت إلى ما لا يحل
وبأرجل مشت في غير رضاك
جئناك نقر أننا عصيناك

ولكنك تعلم أننا لم نعصك استخفافا بمراقبتك
ولا استهانا بعذابك
ولكن غرّنا عفوك
وطمعتنا بك رحمتك
ولكنا يا الله ما زلنا نكره ما تكره
وها نحن على بابك
نقرعه قرع العبيد المحتاجين لسيدهم
ونسألك أن تعتقنا من النار

مع نبي الله سُليمان

جاء رجل إلى سُليمان عليه السلام
وقال له : يا نبي الله إن لي جيراناً يسرقون إِوَزّي!
فنادى سُليمان : الصلاة جامعة
ثم خطبهم فقال : ما بال أحدكم يسرق إوزّ جاره ثم يدخل المسجد والريش على رأسه!
فمسح رجل رأسه
فقال سُليمان : خذوه فإنه صاحبكم

الدرس الأول :
إعرف على من تعرض شكواك
فالبعض يقومون بحل المشاكل
والبعض يزيدونها تعقيداً

الدرس الثاني :
هناك فرق شاسع بين الشكوى وبين التشكي
إذا حدّثتَ من بيده حل مشكلتك فأنت تشكو له وهذا أمر مندوب له
كأن تحكي للطبيب عن وجعك فهذا شكوى
أما أن تُحدّث من تعلم أنه ليس بيده مقاليد الأمور فأنت تتشكى
ومن أطال الحديث عن مرضه ووجعه وفقره فكأنما يتشكى على الله لعباده!

الدرس الثالث :

لا بد من الدهاء أحيانا!

وقد يعمد الإنسان لحيلة لكشف بعض الحوادث

وهذا شيء مشروع ما دام لاحقاق الحق أو ابطال الباطل

وقد قال عمر بن الخطاب :

لستُ خِباً ولكن الخِب لا يخدعني!

ولكن الحيلة لسلب الحقوق هي ظلم وسرقة مهما غلفناها بأسماء جميلة كدهاء وذكاء وشطارة وحسن تدبير

الدرس الرابع :

مخاطبة الناس بالعموم هدي الأنبياء

انظر لسليمان وهو يقول : ما بال أقوام

وهذا كان فِعْل نبينا

بعض الناس تكفيهم الإشارة

وبعض الناس لا تكفيهم العبارة!

فكن لبقاً وتذكر أن كسب الناس أهم من كسب المواقف

ما الفائدة إذا كسبنا موقفاً وخسرنا انساناً

والحق جميل بذاته فلماذا نقبّحه بأساليبنا

هناك أكثر من طريقة لقول الشيء ذاته ولكن بأكثر من أسلوب

لتقل لابنك : غرفتك البارحة كانت أجمل

بدل أن تقول له : غرفتك اليوم عفنة

لتقل لزوجتك : هذا الطعام اللذيذ كان ليكون ألذ لو كان الملح أقل

بدل أن تقول : لماذا طعامك مالح هكذا

الدرس الخامس :

صاحب الباطل قلق

اللص يترقب متى يُمسك

والقاتل يترقب متى يُكشف

والخائن يترقب متى يُضبط

القلق يقضم الإنسان كما يقضم فأر قطعة قماش

يأكله على مهل

لا شيء أجمل من الطمأنينة

رحلة في القطار!

صرخ شاب في الخامسة والعشرين من عمره وهو ينظر من نافذة القطار :
انظر إلى الأشجار يا أبي إنها تسير معنا!
فابتسم الأب ابتسامة عريضة وقال :
أجل يا بُني إنها تسير معنا!
بعد قليل عاد الشاب يُحدّث أباه وعلامات الذهول بادية على مُحيّاه
انظر إلى الغيوم يا أبي إنها أيضاً تسير معنا!
فابتسم الأب وقال له :
أجل يا بُني إنها تسير معنا
عندها التفتَ أحد الركاب إلى والد الشاب وقال له :
أنصحك أن تعرض ابنك على طبيب
فقال الأب : لقد فعلت . . . كان ابني مصاباً بالعمى منذ ولادته وقد غادرنا المستشفى للتو وهذا أول يوم يُبصر فيه!

الدرس الأول :
ليست الأمور غالباً كما تبدو عليه
وراء كل قصة تعرفها قصة لا تعرفها!
فلا تستعجل باصدار الأحكام
كان أحد الأساتذة في الجامعة يلبس ساعة نسائية
وكان محط سخرية طلابه في جلساتهم الخاصة
وذات يوم عرفوا أنها ساعة ابنته المتوفاة!

الدرس الثاني :
كن لبِقاً في ابداء الملاحظات
البعض يستميتون في اسعاد من حولهم
يقاتلون لأجل علبة دواء لمريض
يصارعون الدنيا لأجل رغيف لولد جائع
هؤلاء يستحقون ثناء لا ازدراء
بعض النصح يبدو جارحا
الكلام أناقة
فاختر مفرداتك كما تختار ملابسك وعطرك!

الدرس الثالث :
الحياة مليئة بالحرمان
فإن كان لديك كل شيء
فهذا لا يعني أن الآخرين لديهم كل شيء أيضا
هل سمعت بقصة التلميذ الذي قال له معلمه :
إن أمك مهملة ولا تهتم بك كبقية الأمهات
فذهب في ذات اليوم إلى قبر أمه
وقال لها : قومي راجعي لي دروسي
يقول المعلم أنكِ لا تهتمين بي!

الدرس الرابع :
ما تظن أن من واجب المرء أن يفعله مرة
قد يكون فعله آلاف المرات

ولكننا لسنا مسؤولين عن النتائج
إذا ما بذلنا كل ما بوسعنا
بذل نوح كل ما بوسعه لاقناع ابنه أن
يركب السفينة
بذل إبراهيم كل ما بوسعه لاقناع آزر أن يترك عبادة الأصنام
بذل لوط كل ما بوسعه لتؤمن زوجته بالله
بذلت آسيا كل ما بوسعها لتقنع فرعون باتباع موسى ولكنه اختار
أن يقول أنا ربكم الأعلى
بذل محمد كل ما بوسعه لانقاذ عميه من النار فاختارا دين عبد
المطلب

الدرس الخامس :
مهما كبر الأبناء سيبقون في عيون أبويهم أطفالاً
صحيح أنه على الأبوين أن يعرفوا أن أسلوب الخطاب للأبناء في
سن الخامسة
يجب أن لا يكون ذاته في العشرين
ولكن على الأبناء أن يعرفوا أن الأبوين لا يمكنهما أن يتنازلا عن
غريزة الاهتمام بأبنائهم
ما تظنه تدخلا في شؤونك ما هو إلا محاولة حماية
صحيح أن الأهل يبالغون أحياناً
ولكن لكل شيء ضريبة
فلماذا نتذمر من ضريبة الحب
أنت قطعة من قلب أمك

أنت فلذة من كبد أبيك

معذورون أولئك الذين يريدون أن يحافظوا على ما يرونه جزءاً منهم

مهما كانت الوسائل مزعجة لك

فلا تدعها تنسيك الغاية الكامنة وراءها

عندما تصبح أبا ستعرف لأي درجة كان عظيما أباك

عندما تصبحين أما ستعرفين أي امرأة كانت أمك

عن ستّ النساء

١

أعرف مسبقاً أن الكتابة عنكِ شيء محكوم بالفشل مهما حاولتُ
امرأة مثلكِ يستحيل تحويلها إلى أبجدية
امرأة مثلكِ أكبر من أن تُعتقل في نص
امرأة مثلكِ أكبر من أن تُحبس بين فاصلتين
لا يمكنني تحويل العطر إلى لغة مهما حاولتُ
العطر يُشمُّ ولا يُكتب!

٢

محاولة الكتابة عنكِ فكرة مجنونة
كمحاولة تعبئة البحر في زجاجة
كمحاولة اذابة ثلج القطب كله بعود ثقاب واحد
كمحاولة اقناع النمل أن السُكّر مضر بالصحة
كمحاولة اقناع الأسماك بالعيش على اليابسة
كمحاولة اقناع أسد أن يصير نباتيا

٣

أنتِ لستِ أول النساء
أنتِ لستِ آخر النساء
أنتِ كُلهن
لهذا العالم امرأة واحدة هي أنتِ
وما تبقى مشاريع نساء لم تكتمل
كل امرأة ليس لها دفء صوتك
باردة ولو كان بامكانها اشعال الشتاء
كل امرأة ليس لها غمازة خدك حين تبتسمين
كئيبة ولو جابت ضحكتها أرجاء الأرض

٤

أنتِ لستِ امرأة
أنتِ دواء
أأرق فتمسحين على رأسي فأنام
أكتئب فتضميني فأبتهج
أحزن فتحدثيني فأسعد
أبكي فتمسحين دمعي فأزقزق
أتأفف فتخففين عني فأرضى
أعطش فتنادين اسمي فأرتوي
أجوع فأناديكِ فأشبع

٥

هذا الصباح عنكِ
عن قهوتكِ لا تأتي مقاهي العالم بمثلها ولو اجتمعت
عن رائحة خبزك لا تبثه أفران العالم ولو تكاتفت
عن بيضة في مقلاتك تُغني عن مطاعم العالم كله
عن مائنا يصير زمزما إذ تصببينه
عن ياسمينة الدار تمرين تحتها فتصير حديقة
عن وردة صغيرة تقطفينها فتصير مع أصابعك باقة
عن ماء وضوئك يصير شراب ورد إذ يتناثر منك
عن سجادة صلاتك تصير مسجداً إذ يمسها جبينك
عن الصباح توقظينه كل يوم ليصلي الفجر حاضراً
عن ماهر المعيقلي رفيق صباحك
عن سعد الغامدي تحفظين وقت ختمته
عن الشاطري يُطربك
عن سالم الجليل يُسليكِ
عن فتافيت لا تعرفينها
عن الجزيرة لا تعنيكِ
عن الكتب تجمعينها خلفي
عن درويش تقولين لي : ما هذه الخرابيط
عن مستغانمي تقولين لي : شكلها فاضية عندها كتب كثيرة
عن كنفاني تسأليني : أهذا الذي فجروه في بيروت
عن بيغوفيتش تتعجبين : أجنبي واسمه عليّ
عن لسان العرب تكرهينه : كبير عالفاضي

عن ابن القيم تحبينه
عن دان براون لا تستسيغينه
عن تشومسكي أخبركِ أنه يهودي جميل فتتوجسين
عن ابن سيرين الوحيد الذي تقرئين له
عن يدك فوق يدي تعلمني كيف أكتب على السطر
عن نون التوكيد التي أحبها لأنها كانت تُضحكك حين أتلعثم بها وأنت تعلميني ﴿لنسفعن بالناصية﴾ فتسفعين ناصيتي
عن أظافري تقلميها بقلبك
عن شعري تسرحيه بعينيك
عن مريولي تعقدين أزراره فأنظر في عينيك الخضر عن قرب وأقول في نفسي : ما أجملكِ
عن عتبة بيتنا أكرهها لأنكِ كنتِ تقفين عندها كل ليلة تنتظرين أن أعود لتنامي
عن الشقي الذي أتعبكِ
عن العاق الذي ابتعد عنكِ
عن المشتاق كل ليلة يهاتفكِ
عن العاشق من بعيد يغازلكِ
فتقولين له بغنج : تأدب يا ولد
فيزيدك ويقول : أما زال النمل في بيتنا يسير خلفك يا سُكر
فتحبسين دمعة وتقولين له بغصة : نم ولا تنس أذكار المساء
فيجيبكِ : الجياع لا ينامون
فتقولين له : كُل إذاً
فيقول : قلبي جائع إليكِ

فتنزل دمعتك
وأكره نفسي وأنام
عن العاق عاد أخيراً إليكِ
عن يدكِ قهوة شفتي الصباحية
عن رئتيك أتنفس بها
عن رائحتك أدمنها
عن حضنك الذي ما عاد يتسع لي
فتنهريني : قم صرت قد الدب
عنكِ
حاولت أن أكتب شيئا وفشلت
أنتِ في حلق اللغة غصة
أنتِ امرأة لا تُكتب

مع المأمون

كان المأمون جالساً ذات يوم في مجلسه
وعنده ولاته ووزراؤه
فنادى على خادمه فلم يُجبْه
ثم نادى ثانية عليه فلم يُجبْه
ثم نادى ثالثة فخرج الخادم وبيده قطعة خبز وقال متأففاً :
ما هذا القصر الذي لا يستطيع الواحد فيه أن يكمل لقمته
فنظر المأمون إلى الأرض وقبض على لحيته
فغطى بعض الحاضرين رؤوسهم خشية أن ينالهم شيء من دم الخادم
ولكن المأمون رفع رأسه وقال :
إن الملوك إذا حسُنتْ أخلاقُها ساءت أخلاق عبيدها
وإذا ساءت أخلاقُها حسُنتْ أخلاق عبيدها
وإنّا قوم لا نشتري حُسن أخلاق عبيدنا بسوء أخلاقنا!

الدرس الأول :
كانوا يعرفون القرآن وأحكامه وناسخه ومنسوخه
يعرفون الحديث سنداً ومتناً ولهم باع في علم الرجال
يعرفون الفقه ويُقرّبون أهله
يعرفون الشعر ويَقرضونه ويُبارون الشعراء فيه
يعرفون الأخبار والنوادر
وكان منهم فاسدون

ولكن فسادهم كان لأنفسهم وما انسحب على الناس
لم يحدث أن جاء غازياً فلم يردوه
ولم يحدث أن انتهك عرض فلم يثأروا له
لم يحدث أن عطلوا حداً من حدود الله
كانوا إذا صلحوا فصلاحهم لهم وللناس
وإذا فسدوا كان فسادهم لأنفسهم ولم يسحبوه على الناس

الدرس الثاني :
إذا طمع أحد بعفوك فلأنه علم طيبة قلبك
سهل جدا أن يخافك من حولك
الصعب أن تفرض احترامك
الرجل ليس من يُطوّع امرأته بحزامه
الرجل من يطوعها بأخلاقه
العنف حيلة العاجز
واللباقة وسيلة الواثق
العنف يجعلك مخشيا في حضورك
ملعونا في غيابك
ولكن اللين يجعلك محترما في حضورك
محفوظاً في غيابك
كونوا لهم رجالاً
ليكنّ لكم نساء

الرجال قوامون برجولتهم لا بذكوريتهم
قوامون بقلوبهم لا بسياطهم
قوامون بأخلاقهم لا بفظاظتهم
قوامون بحنانهم لا بخشونتهم
إن كُنّ خُلقن من ضلع أعوج
فجلسوهن بأخلاقكم

.

الدرس الثالث :
البعض تُذهلك ردة أفعالهم
والبعض يصدموك
وحدها المواقف تكشف الناس
بعض الفقراء أكرم من كثير من الأغنياء
بعض النساء أشجع من كثير من الرجال
بعض الأطفال أنضج من كثير من الكبار

.

الدرس الرابع
الكبير كبير بأخلاقه لا بمركزه
إِكبر كما شئت ولكن لا تتكبر
إذا غرك مالك تذكر أن سليمان ملكَ الأرض ومن عليها وما قتل نملة!
إذا غرك أن نائبا أو وزيرا أو حاكما قرّبك

فتذكر أن محمدا صعد إلى السماء السابعة
ووصل إلى سدرة المنتهى
واقترب حيث لم يقترب مخلوق من قبل
ولما عاد إلى الأرض كان في خدمة أهله
وكان يحلب شاته
ويخصف نعله
ويأتي العبد يطلب أن يتوسط له عند سيده فيفعل
وتأتي الجارية الصغيرة تجره من يده ليشفع لها عند أهلها فيمضي معها
صعد إلى السماء السابعة
وبقي يأكل في صحن واحد مع المساكين
ويركب بغلة
ويُأمر جيشه أن لا يقطعوا شجرة
ولا يقتلوا طفلا ولا امرأة
وأن يتركوا الرهبان في أديرتهم هم وما يعبدون
كان كبيراً قبل أن يصعد
وظل كبيراً بعد أن نزل
كبيراً دون تكبر
عظيما دون تعاظم

مناظرة ابن عباس مع الخوارج
«دروس وعِبر»

أرسل عليّ رضي الله عنه ابن عبّاس لمناظرة الخوارج

فسألهم : ما تنقمون على عليّ؟

قالوا : ثلاثا

فقال : ما هن؟

قالوا : أولاهُنّ إنه حكَّم الرجال في أمر الله ،

وقال الله : ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ﴾

ما شأن الرجال والحكم؟

فقال ابن عباس : هذه واحدة .

قالوا : وأمَّا الثانية ، فإنه قاتَل ولم يَسْبِ ولم يغنم ، إن كانوا كفَّارًا لقد حلَّ سبيهم ، ولئن كانوا مؤمنين ما حلَّ سبيهم ولا قتالهم .

قال ابن عباس : هذه ثِنتان ، فما الثالثة؟

قالوا : ومَحَا نفسه من أمير المؤمنين ، فإن لم يكن أميرَ المؤمنين فهو أمير الكافرين!

قال ابن عباس : هل عندكم شيء غير هذا؟

قالوا : حسبنا هذا

فقال ابن عباس : أمَّا قولكم : حكَّم الرّجال ، فقد قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾

فإن كان الله قد قبل تحكيم الرجال في دم أرنب يصيبه مُحرم أكان لا يقبله في دماء المسلمين

قالوا : بلى فهذا أولى

ثم أردف قائلا :

وقال الله تعالى في المرأة وزوجها :

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا ﴾

فإن كان الله قد رضي تحكيم الرجال في اصلاح ذات بين امرأة وزوجها أتراه لا يرضاه في اصلاح ذات بين المسلمين

قالوا : بلى ، هذا أولى

فقال ابن عباس : أخرجتُ من هذه؟

قالوا : نعم .

ثم قال : وأمَّا قولكم : قاتَل ولم يَسْبِ ولم يَغْنَم ، أفتَسْبُون أمَّكم عائشة؟! تستحِلُّون منها ما تستَحِلُّون من غيرها وهي أمُّكم؟ فإن قلتم : إنَّا نستَحِلُّ منها ما نستَحِلُّ من غيرها فقد كفرتم ، وإن قلتم : ليست بأمِّنا فقد كفرتم ؛

﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾

فأنتم بين ضلالتين فأتوا منها بمخرج؟ فنظر بعضهم إلى بعض .

فقال : أفخرجتُ من هذه؟

قالوا : نعم .

وأمَّا قولكم : محا نفسَه من أمير المؤمنين ، فأنا آتيكم بما ترضون ، قد سمعتم أن نبي الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - يوم الحديبية صالَح المشركين ، فقال لعلي : ((اكتب يا علي : هذا ما صالَح عليه محمد رسول الله)) ،

قالوا : لو نعلم أنك رسول الله ما قاتَلناك ، فقال رسول الله - صلَّى

الله عليه وسلَّم - : ((امحُ يا علي ، اللهمَّ إنك تعلم أني رسول الله ، امحُ يا علي ، واكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله)) ، فوالله لَرَسُولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - خيرٌ من علي ، وما أخرَجَه من النبوَّة حين محا نفسه ، أخرجت من هذه؟

قالوا : نعم .

فرجع منهم ألفان ، وقُتل البقية في صِفّين

.

الدرس الأول :

اختر رُسُلكَ بعناية

البعض لا يصلُح إلا رسول حرب

والبعض لا يصلُح إلا رسول سلم

والذي يفضُ نزاع تاجرين

لا يفضُ بالضرورة نزاع زوجين

الدرس الثاني :

بعض العقول توفّر عناء السيوف!

عقل واحد حيّد عن المعركة ألفي سيف

السيوف التي ليس لها عقول ما تلبث أن تصير عصابة

والعقول التي ليس لها سيوف يخنقها الجهل

فالحق الذي ليس لديه قوة يجعله الناس باطلاً

والباطل الذي لديه قوة يفرض نفسه كحق

والإسلام عقل وسيف

صحيح أن الإسلام لم ينتشر بالسيف
إنما بالحق الكامن فيه
ولكن السيف مهّد الطريق وأزال العوائق التي منعت وصوله للآخرين
وعندما وصل إليهم اختاروه لأنه حق
الدرس الثالث :
لا تناقش خصمك في أول شُبهة يدليها
والخصومة هنا أعني بها خصومة فكرية
دعه يخرج كل ما عنده
ثم استلم زمام الأمور
وفنّد شبهاته واحدة واحدة
ما فعله ابن عباس يُسمى في علم التفاوض : «استخراج ما عند الخصم»

الدرس الرابع :
لا تيأس من أحد مهما كان غارقاً في الباطل
القلوب بيد الله
وما نحن إلا أسباب هداية أو ضلال
وتذكر دوما :
السحرة الذين جاؤوا لنزال موسى صاروا معه
وقد قطع فرعون أيديهم وأرجلهم وما تركوا دينهم
وبلقيس التي كانت تعبد الشمس صارت زوجة نبي
وعمر الذي كان يصنع صنما من تمر يعبده اول النهار ويأكله آخره

صار فاروق الأمة
وعكرمة بن أبي جهل الذي أهدر النبي دمه يوم فتح مكة مات في اليرموك شهيداً على مرأى خالد وإن الشجاع لمن كان يُحاذي خالداً في المعارك

الدرس الخامس :
الغلو والتكفير ظاهرة قديمة
وحلها بالعقل أولاً
فكثيرون أخذهم للغلو الحماس وحب الله
ولكن النية الحسنة لا تُصلح العمل السيء
هؤلاء ذنوبهم برقبة العلماء إن استطاعوا ردهم للحق ولم يفعلوا أو لم يبذلوا جهدا لردهم
يشهد التاريخ أن أشرس جنود الحق كانوا يوما أشرس جنود الباطل
نحن لا نريد بداية قطع اليد التي تحمل سلاحا في الباطل
إنما نريد أن نغير العقل الذي يحكم هذه اليد
والغلو ظاهرة مرضيّة
ما كان قابلا للشفاء شفاه العقل وردّه
وما كان غير قابل للشفاء فلا بد له من سيف
لأن التكفير والغلو في جسد الأمة كالعضو الذي أصابته «الغرغرينا» في جسد مريض السكري
إن أبقيناه أتى على الجسد كله وأتلفه
وإن قطعناه أبقينا على جسد ما يلبس أن يتكيف ويعيش

عبد الله بن محيريز
«قصص وعِبر»

١

عبد الله بن محيريز مكيّ المولد ، شاهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يعده رجال الحديث من الصحابة ، فقد كان يافعا وقت فتح مكة ، وقد عُدّ من الطلقاء شأنه شأن أهلها الذين اعتنقوا الإسلام بعد الفتح

ترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء

فقال عنه :

عبد الله بن محيريز ، الإمام الفقيه ، والقدوة الربانيّ

روى الحديث عن عبادة بن الصامت ، وأبي سعيد الخدريّ

من كبار التابعين ، أقام في مكة ، وقال عنه رجاء بن حيوة :

إن يفخر علينا أهل المدينة بعابدهم عبد الله بن عمر فإنا نفخر عليهم بعابدنا ابن محيريز

والكلام لي الآن :

كلام ابن حيوة تصنيف على مكان الإقامة لا الأصل وإلا فابن عمر مكيّ قرشيّ وهو غني عن التعريف

ووضعه في مقارنة مع ابن عمر للدلالة على ورعه وعبادته وإلا فابن عمر لا يُقارن به تابعي!

٢

دخل عبد الله ابن محيريز دكاناً يريد أن يشتري ثوباً

فقال رجل قد عرفه لصاحب المحل
هذا ابن محيريز فأحسن بيعه
فغضب ابن محيريز وطرح الثوب
وقال :
«إنما نشتري بأموالنا ولا نشتري بديننا»
العبرة الأولى :
لا تأكل بدِينك!
إن الله جعل الدنيا مزرعة الآخرة
فلا تستعجل حصادك
فمن حصد زرعه اليوم
لن يبقى له ما يحصده غدا

.

العبرة الثانية :
ما ضرّك لو كنت مجهولا عند الناس معروفا عند الله
ما ضرك لو كنت فقيرا بدنياك غنيا بآخرتك
ما ضرك لو كنت مبتلى في جسدك معافى في دينك
ما ضرك لو كان لك بيت متواضع في الدنيا وقصورك تُعمر في الآخرة
ما ضرّك لو كنت أعزبا متعففا وحور العين ينتظرنك
الضرر أن يكون العكس

العبرة الثالثة :

إذا أنقص التاجر للعالم من ثمن البضاعة

عن طيب نفس منه

ونية منه إكرام أهل العلم

فهذا أمر مندوب

وله فيه أجر

ولو قبل العالم هذا فلا بأس

فالكريم يعطي ويأخذ

ولو تعفف فهو خير

وفيه درس عملي أن هذا الدين جاء لأداء الحقوق كاملة

.

٣

رأى عبد الله بن محيريز خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان

وعليه ثوب من الحرير

فقال له : أتلبس الحرير يا خالد؟!

فقال له : إنما ألبسها لهؤلاء

وأشار بيده إلى الخليفة

أي أن أباه قد فرض عليه هذا لاظهار عظمة الملك

فقال له :

ما ينبغي أن يعدل خوفك من الله بأحد من خلقه

العبرة الأولى :
أحمق من باع دينه بدنياه
والأحمق من ذلك من باع دينه بدنيا غيره!
لماذا نخجل من الناس فنفعل لأجلهم الخطأ
ولا نخجل من الله ونفعل لأجله الصواب
طبع في الناس أنهم يحبون أن يشاركهم الأخرون في أخطائهم
لأنهم بذلك يتعزّون
تربد الزانية لو كل النساء زنين
ويريد السارق لو كل الناس سرقوا
ويريد المرتشي لو كل الموظفين ارتشوا
انظر حولك
هل سوّل لك أحد معصية لا يفعلها

.

العبرة الثانية :
لا تسكت على خطأ
ولكن تخير الزمان والمكان
النصيحة على الملأ فضيحة
وأحيانا لا يقبل الناس النصح إذا شعروا أنهم جُرحوا
الحقيقة مُرّة
والصواب صعب
علينا أن نُحَلّي الحقيقة بحسن عرضها
وعلينا أن نُسهّل الصواب باختيار أسلوب له

دون أن ننسى أنه لا بد أن تُقال الحقائق على الملأ

ما كان خاصا فإياك أن تعممه

وما كان عاماً فإياك أن تخصصه

الدعاء

١

قال الأصمعيّ :

كنتُ أطوف بالكعبة فإذا بأعرابي ممسك بأستارها ويقول :

اللهم أمتني ميتة أبي خارجة!

فقلتُ له : وكيف مات أبو خارجة؟

فقال : أكل فامتلأ ، وشرب عصير عنب ، ونام في الشمس

فمات شبعان ، ريّان ، دفيان!

.

.

الأصمعي علم من أعلام اللغة العربيّة

وكان من أئمة النحو

وقدّم لهذه اللغة خدمات جليّة

أما بشأن قصصه

فلا أدري إن كان من الأدب أن أقول :

أني أجد في صدري شيئاً منها

ولكن من العدل أن ننصف الرجل

فحتى وإن صح اعتقادي أنه ألّف بعضها

فقد ألّف أشياء جميلة

.

ووصلا لما انقطع

هذه القصة طريفة لا شك

وهي إن صحّتْ فمن عيون نوادر العرب على مر العصور

هي مضحكة إن ضُربت في باب الطرائف

مبكية إن ضُربت في باب الدعاء

صحيح أن الله يُحب أن يُسأل في الأمر كله

ولكن الدعاء سؤال

والسؤال يدل على السائل

الأعرابي كما يظهر من القصة إنسان بسيط

ودعا الله بحسب فقهه وفهمه

وبحسب ما يهمه في الحياة

ولكن لا بد في الدعاء من أدب السؤال

فرق شاسع بين من يسأل الله الرزق وبين من يقول اللهم أمتني شبعاناً

فرق بين من يسأل الله الشهادة وبين من يقول اللهم أمتني بعد أن اشرب عصير عنب

صحيح أن يسأل المرء ربه أفضل من أن يسأل الناس مهما كان سؤاله

تخيل أن تدخل على ملك من ملوك الدنيا

وتقول له : أريد إبرة وخيطا فأحد أزرار قميصي قد انقطع

ولله المثل الأعلى

٢

زار النبي ﷺ رجلاً قد مرض مرضاً شديداً
فسأله : أكنتَ تدعو الله بشيء
فقال الرجل أجل
كنتُ أقول : اللهم إن كنتَ مُعذّبي بشيء في الآخره فعجله لي في الدنيا
فقال ﷺ :
سبحان الله ، إنكم لا تُطيقون ، هلا قلتَ : اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار

.

الرضى بقضاء الله في المرض والفقر والمصائب
لا يتنافى مع دعاء الإنسان لله أن يرفع عنه ما ألمّ به
وهذا أدب الأنبياء
أيوب سأله الشفاء لما نزل به المرض
ويونس سأله أن يفرج كربه لما التقمه الحوت
وموسى سأله النصر لما تبعه فرعون
وإبراهيم سأله النجاة لما أُلقي في النار
فالأمور بين بين
لا بساطة الأعرابي ومهزلة الدعاء
ولا الطلب من الله أن يزيد في البلاء

٣

مما رويَ أن يوسف عليه السلام لما طال به الحبس
ناجى ربه أن يا رب قد طال السجن
فأجابه الله : أنت سألت السجن فأعطيناك
ولو سألت العافية لعافيناك
وقد جاء في القرآن : ﴿رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه﴾
خُيّر يوسف بين الزنا والسجن
فاختار العفيف السجن على الزنا
ذلك أنه بدا له أنه بين أمرين لا ثالث لهما
وهذا ما كان ليكون إلا لأن الله قضى أمراً هو نافذ لا محالة
وإنما يسبب له الأسباب ومن أسبابه النسيان أو عدم الانتباه للأمر في حينه

.

يقول الماورديّ :
القدر مُعلق بالمنطق!
ولا يرد القدر إلا الدعاء
فلنتخير دعاءنا
فلعل دعاء قبيحا وافق ساعة استجابة
وأقبح الدعاء دعاء الهرج بين الأصدقاء
الله يذلك . . . الله يخزيك . . . . الله يفضحك
ودعاء الأمهات على أولادهن

صحيح أن الأم تدعو بلسانها لا بقلبها
ولكن أبواب السماء مفتوحة
إذا كسرت البنت صحنا : الله يكسر قلبك
إذا أضاع الولد مصروفه : الله يفقرك
إذا حرقت البنت الأرز : الله يحرقك بجهنم
إذا ركض الولد وكسر مزهرية : الله يشلك
لماذا لا نعوّد ألسنتنا على أدعية جميلة
الله يهديك
الله يصلحك
الله يشرح صدرك
وكما الدعاء القبيح عادة
فالحسن عادة
دون أن ننسى أن الدعاء عبادة
ومن العيب أن نتعبد الله بما يكره

صباحكم دعاء جميل
في الدنيا التُقى والغِنى وفي الآخرة الجنة

تفسير الأحلام
«العلم الذي حوله الناس إلى خرافة»

١

كان ابن سيرين جالساً في المسجد
فجاءه رجل وقال له :
رأيتُ في المنام أني أذّنتُ
فقال له : ستحجٍ هذا العام
ثم ما لبث قليلا فجاءه رجل وقال له :
رأيتً في المنام أني أذّنتُ
فقال له : ستسرقُ وتُسجن!
فتعجّب طلابه كيف أنه أوّل رؤيتين متشابهتين تأويلا مختلفاً
فقال لهم :
الأول رأيتُ فيه علامات الصلاح
فأخذته على قول الله تعالى :
﴿وأذّن في الناس بالحج﴾
وأما الثاني فرأيتُ فيه علامات الفجور
فأخذته على قول الله تعالى :
﴿ وأذّنَ مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون﴾

٢

تفسير الأحلام أمر في غاية التعقيد
وهو علم لا يقل دقة عن الفيزياء والكيمياء
ولولا أنه بهذا من المستوى
ما جعله الله معجزة أحد أنبيائه
فقد قال جل في علاه عن يوسف عليه السلام :
﴿ولنعلمه من تأويل الأحاديث﴾

٣

برأيي إن التفسير شيء من علم وكثير من إلهام
فالمفسر لا بد أن يكون عالما بالقرآن
والحديث
واللغة
والأمثال
ثم إلهام يجعله يربط هذه الأشياء بالرؤيا
فامتلاك هذه العلوم لا يجعل من المرء مفسرا
ولكن بما أن الإلهام شيء لا يمكن تحصيله
فلنتحدث عن العلم!

٤

هناك قواعد لتفسير الأحلام :

أولاً :

يختلف تأويل الرؤيا ذاتها من شخص لآخر
كما في تفسير رؤيا الأذان التي بدأت بها هذا النص
لهذا لا تبحثوا عن أحلامكم في كتاب ابن سيرين
أصلا ابن سيرين لم يكتب كتابه
إنما دونه تلاميذه من بعده
وقد زِيد فيه كثيراً
فابن سيرين ولد في آخر خلافة عمر
أي قبل جمع القرآن
وتدوين الحديث!
وما كان للتابعين أن يدونوا تفسير الأحلام قبل القرآن
والكتاب إن صح فهو مبادئ عامة للاستئناس بها
ولا ينطبق على كل الناس

.

ثانياً :

تختلف تأويل الرؤيا باختلاف الفصول
رأى رجل في منامه ناراً
فقصّ رؤياه على ابن سيرين
فقال له : اذهب واحفر حيث رأيتَ النار
فحفر ووجد كنزاً

ثم دارت الأيام فرأى ناراً
فذهب وحفر من تلقاء نفسه فعثر على قتيل
واتهموه بقتله وأخذوه إلى القاضي
فطلب رؤية ابن سيرين وقص عليه الخبر
فقال ابن سيرين :
لما أتيتني أول مرة كنا في الشتاء
والنار فاكهة الشتاء يطلبها الانسان ويأنس بقربها
لهذا قلت لك احفر
أما لما رأيتها ثانية كنا في الصيف
والنار يُهرب منها صيفاً
فلما أتيتها كان ما وجدتَ

.

ثالثاً :
هناك تأويل بالأسماء
فحين يعطيك «فرج» أو «سهيل» أو «ياسر» شيئا في المنام
فهذا ليس كأن يعطيك ذات الشيء شخص اسمه «صعب» أو «شديد»
وقد قال النبي ﷺ :
«رأيتُ الليلة أننا في دار عقبة بن رافع ، فأتينا برطب طاب»
فأولته أن لنا الرفعة دنيا وآخرة
وأن ديننا قد حليَ وطاب

.

رابعاً :

التأويل بالمثل الشائع

فرؤيا الصائغ مثلا قد تدل على الكذوب

لقول العرب عن الكاذب : فلان يصوغ الأحاديث

والكنايات الشائعة كالأمثال

فالعرب مثلا تُكني عن الكرم بطول اليد

لهذا قال النبي ﷺ لزوجاته :

«أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً»

فكانت أمنا زينب بنت جحش أولهن موتا

لأنها كانت أكرمهن

ومن هنا فرؤيا اليد قد طالت قد يدل على الكرم

.

خامساً :

التأويل بلغة العرب

فقد جاء أعرابي إلى النبي ﷺ

وقال له :

رأيتُ كأن رأسي قد قُطع فكان أمامي وأنا أنظر إليه .

فابتسم النبي وقال له : بأي عينيك كنت تنظر إليه

ثم ما لبث النبي أن مات

فعلم أبو بكر أن الرؤيا كانت أجل رسول الله

وأنه ابتسم لأنه عدها بُشرى

فالرأس عند العرب هو إمام القوم!

والحديث في هذا المجال يطول
فما زال هناك تأويل بطباع الأشياء
وتأويل بما عُرف عن الناس
ولكن زبدة الكلام أن التأويل فتوى
فمن لم يعرف تأويل رؤيا
عليه أن يتورع عن الخوض فيها
ثم على الرائي أن يتورع عن سؤال أي كان
فقد أوضحنا أن للأمر أهله
ولأهله صفات لا تتوفر بالكثير من الناس

كل عام وأنتِ بخير

١

أما قبل :
فإني أعتذر إليكِ نيابة عن هذه البشرية الحمقاء
لم يخترع الكيميائيون حبراً من ماء الذهب
لأكتب به إليكِ
ولم تخترع مصانع الورق دفاتر من ورق الورد
لأكتب عليها إليكِ
ولم يخترع اللغويون حروفاً جديدة تليق بكِ
ما زال عليّ أن أكتب بحبر عادي
على ورق عاديّ
بلغة عادية
لامرأة ليس فيها شيء عادي

.

.

٢

أما بعد :
مضى عام على عيد ميلادك السابق
دون أن يتغير شيء
كنتِ العام الماضي أنثى وحيدة
في كوكب يعج بالرجال
وستبقين العام القادم أنثى وحيدة

لكوكب يعج بالرجال
لا تُصدّقي النحاة حين يتحدثون عن جمع المؤنث السالم
الجمع أقله ثلاثة
ولا يوجد منكِ إلا نسْخة واحدة

.

٣

الزمن عدو النساء
أما أنتِ فالزمن صديقكِ
لم تصبحي أكثر عمراً
أصبحتِ أكثر قيمة
أنتِ كالآثار
كالنقود التاريخية
كالطوابع القديمة
كالعطر المعتّق
كلما مرّ عليها الزمن صارت أغلى

٤

مضى عام لم أكتب فيه شعراً
لأن كل شعر ليس على إيقاع خطواتك
ما هو إلا نثر آخر

وسيأتي عام لن أكتب فيه شعراً
لأن العروضيين لم يصنفوك بعد سيدة التفعيلات

.

مضى عام لم ألبس فيه ساعة
حين تكونين معي لا يعنيني الوقت
وحين تتركيني فالتوقيت واحد
أنا إلا أنتِ
أي لا شيء!
وسيأتي عام لن ألبس فيه ساعة
فأنا أُأقتُ حياتي بكِ
صباحهم يبدأ حين تشرق الشمس
وصباحي يبدأ حين تبتسمين
ولو ابتسمتِ في الواحدة ليلاً
وليلهم يبدأ حين تغيب الشمس
وليلي يبدأ حين تتركيني
ولو تركتني في السابعة صباحا

.

مضى عام كنتُ أغار من فنجان القهوة حين يلمس شفتيك
وسيأتي عام سأبقى أغار من المشط حين يلمس شعرك

مضى عام كنتِ تعقدين فيه أزراري
فأشعر أني بين يديكِ طفل صغير
وسيأتي عام تنهضين فيه لتغطيني

فأشعر أني بين يديك طفل صغير

.

مضى عام كان أجمل ألواني فيه لون عينيكِ
وسيأتي عام سيبقى أجمل ألواني فيه لون عينيكِ

.

مضى عام كان أجمل موسيقى فيه صوتك
وسيأتي عام ستبقى أجمل موسيقى فيه صوتكِ

.

مضى عام بايعتكِ فيه ولية أمري قلبي
وسيأتي عام سأجدد لكِ البيعة فيه

٥

هذه الرسالة نسخة عن رسالة العام الفائت
وستكون نسخة عن رسالة العام القادم
بعض الأشياء لا تتغير
ولكن عليّ أن أقولها لا لأجلكِ
إنما لأجلي
أنتِ لا تعرفين أي متعة أن يكتب رجل للمرأة التي يحب
وأنا أحبكِ
فكل عام وأنتِ بخير

كونوا لهنّ رجالاً يكُنّ لكم نساءً

١

اختصم أبو الأسود الدؤلي وامرأته إلى القاضي في ولد لهما
فأشار القاضي لأبي الأسود أن تكلم
فقال أبو الأسود : الولد لي
أنا حملته أولاً
وأنا أنزلته أولاً
فقال القاضي للمرأة ما تقولين :
فقالت : هو حمَله خفيفاً وأنا حملته ثقيلاً
وهو أنزله شهوة وأنا أنزلته ألماً
فالتفت القاضي إلى أبي الأسود وقال له :
ادفع إليها ولدها وأرحني من سجعك!

.

٢

أبو الأسود الدؤلي ولد قبل البعثة الشريفة
وآمن بالنبي ﷺ
ولكنه لم يره
لهذا عُد من التابعين
ولي البصرة في عهد عليّ بن أبي طالب
وكان من فطاحل اللغويين

وهو أول من نقط الحروف العربية
إذ كانت أولاً دون تنقيط لفصاحة العرب فلم يحتاجوها
ولما اتسعت رقعة الناطقين بالعربية بفضل الإسلام احتاجوا إليها
وقيل أنه من وضع علم النحو
والصواب أنه لا يمكن إرجاع علم النحو لواحد
غير أن أول كتاب في النحو كان لسيبويه
وقد أسماه «الكتاب»
وكان النحاة فيما بعد يسمونه قرآن النحو!

٣

الدرس الأول :
قالت العرب :
الحر من راعى وداد لحظة!
فكيف بوداد عُمْر
والشهم في الحب
هو الشهم في الخصومة
قد يتحول الحب
ولكن ما ينبغي أن تتحول المروءة
ثمة أشخاص لا يجب أن يدخل بينك وبينهم قضاة
ثمة أشخاص مسموح أن لا يكونوا أحبة
ولكن من العار أن يكونوا خصوماً

قيل لأعرابي كثُر خلافه مع زوجته ما الأمر
فقال : لا أتكلم عن عرضي
فلما تطلقا
قيل له ما السبب؟
فقال : لا أتكلم عن أعراض الناس
قد تسوقنا الحياة إلى طريق مسدودة
فإن صعُب الإمساك بمعروف
وجب أن يسهُل التسريح باحسان

.

الدرس الثاني :
الفرس من الخيّال
لا تعق المرأة أهل زوجها إلا إذا هان أهله عنده أولاً
ولا تسترجل المرأة إلا إذا فرّط الرجل برجولته
ولا تكون المرأة سيدة رجل إلا إذا فشل أن يجعلها امرأته
وإذا لم تعد المرأة امرأة كما يجب
فلأن الرجل لم يعد رجلا كما يجب
لا تصدقوا أن المرأة التي تحكم بيتا امرأة سعيدة
إنها في أعماقها تحن إلى رجل يحكم بيته
إن كانت الحياة غيّرت وظيفة النساء
فهي لم تُغيّر طبائعهن
امرأة اليوم في أعماقها هي امرأة قبل ألف عام في أعماقها

ما زالت تبيع الدنيا لأجل رجل يحبها
ما زالت تسعدها هدية ولو ملكت مال قارون
ما زالت تريد صدراً حنونا ولو كانت رئيسة وزراء
أشياء بسيطة تسعد المرأة
هي مستعدة أن تعمل كالنملة سبعة أيام في الأسبوع
وأربعة وعشرين ساعة في اليوم
مقابل أن تجد رجلا يقدر ما تقوم به
كان رجل كلما عاد من عمله
تشكو له زوجته تعبها في البيت
فيقول باستخفاف ما هو الشيء العظيم الذي قمت به
وفي يوم عاد إلى البيت
وجد الأولاد متسخين
الصحون أكوام في المطبخ
البيت منبوش كأنه ساحة حرب
دخل مسرعا إلى غرفة النوم
وجدها مستلقية تقرأ كتابا
فقال لها : ما الذي حدث
فقالت بهدوء : لا شيء ، فقط قررت أن لا أقوم بالعمل التافه الذي أقوم به كل يوم!

الدرس الثالث :

لا تُحارب أماً بأولادها

الأبوة بالتجربة

أما الأمومة بالغريزة

قد يُنجب الرجل عشرة أولاد ولا يستحق أن يُدعى أباً

أما المرأة فهي أم ولو لم تُنجب

.

الدرس الرابع :

القضاء ليس للقضاة في المحاكم فقط

كل واحد منا معرض كل يوم لأن يكون قاضيا

فلا تحابي ظالماً مهما أحببته

ولا تخذل مظلوما مهما كرهته

الباطل ليس أمامه كبير

والحق ليس أمامه صغير

ولا يفتك أن القاضي هو الذي يُصلح

لا هو الذي يقضي

فإن تعذر الصلح

فالحق يجب أن يُقال

الحق مهما كان مراً فإنه أعذب من الباطل مهما كان حلواً

الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل

١

يُحكى أن ملكَ الموت كان صديقاً لنبي الله سُليمان عليه السلام
وكان يكثر من التردد عليه بهيئة رجل
فيسمع أخبار العباد والبلاد
وحدث مرّة أن دخل ملك الموتِ على سليمان
فوجد أحد وزرائه عنده
وأخذ ملك الموت يطيل النظر إليه باندهاش
ثم قام وخرج من المجلس
فسأل الوزيرُ نبي الله سليمان : من هذا الذي كان يطيل النظر إليّ
فقال سليمان : هذا ملك الموت
فارتعدت فرائصه وتفككت أوصاله واصفرّ لونه
وقال : ناشدتكَ الله يا نبي الله أن تأمر الريح أن تأخذني إلى الهند
فإني لا أطيق الجلوس بأرض رمقني فيها ملك الموت
فأخذ سُليمان يحدثه أن لكل أجل كتاب
وأن السفر لا يؤجل الموت
وأن الاقامة لا تعجله
ولكن الوزير أصر على رأيه
فطلب سُليمان من الريح أن تحمله إلى الهند
ثم بعد ساعة عاد ملك الموت ودخل على سليمان
فقال له : لِمَ كنت تطيل النظر إلى الوزير
فقال : إن الله أمرني أن أقبض روحه في الهند

فلما جئتُ ووجدته في مجلسك استغربت
وقلت في نفسي : ما الذي سيأخذه إلى الهند وقد حان أجله
ولكني علمتُ أن ما قضاه الله كان
فلما ذهبتُ إلى الهند وجدته ينتظرني هناك

.

الدرس الأول :
قدر الله نافذ لا محالة
وكل سبب نأخذ به لتأجيله ما هو إلا سبب بمشيئة الله لتحقيق قدر الله
انظر إلى فرعون
ذبح آلاف الأطفال لأن المعبرين أخبروه أن طفلا من بني إسرائيل سيولد وسيكون هلاكه على يديه
وفي النهاية ربّى في قصره الطفل الذي كان هلاكه على يديه
وانظر لأميّة بن خلف
باع بلالا لأبي بكر رغم أنه كان عيبا في عرف العرب بيع عبد يُؤدّب
باعه لأن الله قضى أن يكون موت أمية على يد بلال

٢

كتب غسان كنفاني مرة :

«الموت لم يكن يوماً قضية الأموات وإنما قضية الأحياء»

الأموات يحزمون حقائبهم

يضعون فيها حسناتهم وسيئاتهم ويرحلون

حقائب المسافرين إلى الآخرة لا تتسع إلا لهذا

.

.

الذي دفعني لأكتب عن الموت اليوم

هو أننا فقدنا البارحة زميلة في العمل إثر حادث سير

البارحة صباحاً حيتني بتحية الصباح

واليوم صباحاً أكتب عنها بين الأموات

تافهة هذه الحياة

الحديث اليوم ليس لـ«هبة» رحمها الله وإن كان عنها

حديث الموت للأحياء لا للأموات

كانت هبة جميلة ومثقفة وفي مقتبل العمر ومثلنا جميعا تعتقد أن الموت ما زال بعيدا

الدرس الأول :

كل الجمال قد يصبح في ثانية من فتنة لأهل الأرض إلى طعام للديدان

فاعتبرن أيتها الجميلات

كل عمر مهما بدا لصاحبه أنه ما زال فيه متسع قد يكون انتهى

تذكر كم رضيعاً دفنت
تذكر كما صبياً شيّعت
الموت ليس أمامه صغير
فلا تستقصروا أعماركم فلعلها كانت قصيرة فعلا
كل المال الذي نجمعه قد يصبح بثانية للورثة
هم يتمتعون به ونحن نُسأل عنه وحدنا
فلننظر كيف نجمعه
ولنتذكر أن الأكفان ليس لها جيوب
المال الوحيد الذي نأخذه معنا هو ما كسبناه من حلال وانفقناه في حلال
الدرس الثاني :
إذا عزمتَ على التوبة ف تُب
فالموت يأتي دون استئذان
«هبة» الآن عند رب هو أرحم بها من أهلها
إلى الذي لا يصلي ماذا تنتظر
وإلى التي لم تتحجب ماذا تنتظرين
إلى الذي يغش بتجارته ماذا تنتظر
وإلى التي لا تصلي ماذا تنتظرين
إلى الذي عق أبويه ماذا تنتظر
وإلى التي ما صانت نفسها ماذا تنتظرين
ماذا ننتظر جميعاً
لماذا نتعامل مع الموت كأنه وهم رغم أنه الحقيقة الوحيدة التي لا يختلف عليها اثنان

لماذا نتعامل مع الخلود كأنه حقيقة رغم أنه الوهم الذي لا يختلف عليه اثنان

.

.

لكَ ما أعطيتَ

ولكَ ما أخذتَ

وكل شيء عندك بقدر

اللهم اغفر لها وارحمها وعافها واعف عنها

وعاملها برحمتك لا بعدلك

وباحسانك لا بميزانك

مع الصاحب بن عبّاد

١

قال الصاحب بن عبّاد :
ما أخجلني إلا ثلاثة
أولهم أبو الحسن اليهديني
فإنه كان في نفر من جلسائي
فقلتُ له وقد أكثر من أكل المشمش :
لا تأكله فإنه يُلطّخ المعدة
فقال : ما يعجبني من يُطبب الناس على مائدته!
الدرس الأول :
لا تُطبب أحداً على مائدتك
فما كان العبّاد يريد أن يحافظ على مشمشه
وإنما يريد أن يحافظ على ضيفه
ولكن ملاحظة صاحب المأدبة للضيف جارحة
مهما كانت بسيطة
فابسط للناس ابتسامتك وحلو حديثك
قبل أن تبسط لهم مائدتك
فقد جلس أعرابيٍ على مائدة أحد الخلفاء
وكان الطعام تيساً مشويا
وكان الأعرابي جائعا
فأخذ يأكل بشراهة
فقال له الخليفة : ما لك تأكله كأن أمه نطحتكَ

فقال الأعرابي : وما لكَ تشفق عليه كأن أمه أرضعتكَ

وأما الثاني :
فقد قال لي وقد جئتُ من دار السلطان
وأنا ضجر من أمر أعرض لي :
من أين جئتَ؟
فقلتُ : من لعنة الله
فقال لي : ردّك الله من غربتك!
فأحسن عليّ اساءة الأدب
الدرس الثاني :
مشاكلك وهمومك لك وحدك
وأدبك للناس
فاحفظ ما لكَ
وأدِّ ما للناس
إن كنتَ مهموما ففظاظتك لن تخفف همك
وإن كنت مديوناً فقسوتك لن تؤدي عنك دينك
وإن كنت مريضاً فسوء خلقك لن يشفيك
الناس في الغالب تتأثر طباعهم بظروفهم
فقدّر هذا
احتمل إساءة المكلوم
وتفهم ضجر المريض

استوعب قسوة المبتلى
صحيح أن ظروفه له وحده
ولكن الناس للناس

.

.

وأما الثالث :
فصبي داعبته ممازحاً :
ليتكَ تحتي
أي بين عبيدي
فقال : مع ثلاثة آخرين
يعني في رفع جنازتي
الدرس الثالث :
الدعابة شيء مطلوب
ولكنها كالملح في الطعام
قليله يُطيب
وكثيره يُفسِد!
ولكل مقام مقال
الدعابة في غير وقتها سماجة
والهزل في موضع الجد خِفة
وليس كل شيء يصلح ليكون مادة للدعابات
إن كان بعض المزاح من أدب الحديث
فإن بعضه من قلة الأدب

وإياك أن تضحك في حزن أحد
الأصدقاء الحقيقيون يتكدرون لحزن أصدقائهم
وإن لم يستطيعوا تظاهروا بذلك
فقد كان الخليل بن أحمد الفراهيدي
يمشي برفقة صديقه فانقطع نعل الصديق
فخلع الخليل نعله
فقال له صاحبه : لِمَ فعلتَ هذا
فقال الخليل : حتى أواسيك في الحفاء!

•

قدّر أمزجة الناس ونفسياتهم
أحيانا تفاعلك مع ألم إنسان قد يؤلمه أكثر من ألمه
وكما أن لك الحق في اطلاق الدعابات
فإن من واجبك تقبلها
ليكن صدرك رحباً
لم يمت أحد بسبب ابتسامة
ولكن كثيرين ماتوا مكتئبين!

دروس من دهاء الصبيان

١

روى ابن الجوزي في أخبار الأذكياء
أن المعتصم الخليفة العباسي
ذهب لزيارة وزيره «خاقان» يعوده من مرض نزل به
وكان يومذاك الفتح بن خاقان صبيا
والفتح بن خاقان صار لما كبر من أشهر وزراء بني العباس
فسأل المعتصم الفتح :
أيهما أجمل دار الخليفة أم دار أبيك؟
فقال الصبي : دار أبي أجمل لأن الخليفة فيها!
فأُعجب المعتصم بحسن جوابه
وأراد أن يكافئه
فرفع يده وقال له : أرأيتَ أجمل من هذا الخاتم؟
وفي نيته أعطاءه اياه
فقال الفتح : أجمل منه اليد التي تلبسه يا أمير المؤمنين
فذُهل المعتصم من جواب الصبي

.

الدرس الأول :
هناك أطفال يولدون بطباع عذبة
تجد فيهم نضج الرجال

وقد تجد فيهم حكمة الشيوخ
ولكن غالبية الأطفال هم نتاج التربية التي يتلقونها
قال جوستين غاردر :
الحيوان يُولد حيواناً أما الإنسان فلا يُولد إنساناً وإنما عليك أن تربيه ليكون كذلك
لا شك أن الفتح وُلد بطبع وعقل جميلين
ولكن لا شك أيضاً أن خاقان زاد الطبع تهذيبا
والعقل اتقاداً
فالقدرات التي تولد مع الأطفال إن لم ننمها تتلاشى
بينما إذا اهتممنا بالعاديين تربية وتعليما فإننا نجعلهم مميزين أو نكاد

الدرس الثاني :
راقب أولادك جيداً
كل واحد منهم لديه ميل فطري لشيء
نمّه له
أكبر خطأ يقع فيه الأهل أنهم يختارون مستقبل أولادهم كما يختارون لهم أسماءهم
إنك حين تحمله ليكون طبيباً مع ميله للآداب
أنت لا تخدمه
إنك تقتل فيه شيئا كان يجب أن تسقيه ماء الاهتمام ليزهر

وحين تحمله على الآداب وهو يميل للهندسة
فأنت تقتل ابداعه
هناك فرق شاسع بين من يزاول عمله ليقتات منه
وبين من يزاوله لأنه يحبه
الأمر يشبه إلى حد بعيد الفرق بين امرأتين
الأولى أُجبرت على زوج
والثانية زُفت لمن تحب

٢

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسير في الطريق
فلما رآه الصبية تركوا ما كان يلعبون به وهربوا لشدة ما كان مُهابا
إلا عبد الله بن الزبير بقي واقفا مكانه
فسأله عمر : لِمَ لمْ تهرب كأصحابك
فقال له : ما جنيتُ شيئا لأخافك
ولم تكن الطريق ضيقة لأفسح لك!

.

.

الدرس الثالث :
هذه تربية أسماء بنت أبي بكر
والزبير بن العوام

إنما يخاف المذنب

ويفر الجاني

عمر أولى بالطريق إن كانت ضيقة

أما إذا اتسعت للاثنين

فلماذا تُترك لواحد

هذا هو الفرق بين الخوف والاحترام

هكذا سادوا الدنيا

يُربون أولادهم على الطاعة لا على المذلة

على الاحترام لا على الخوف

على قول الحق ولو كان المُخاطب عُمر

٣

روى الأصمعيّ، قال :

سألتُ صبياً من الأعراب :

أيسُرّك أن لك ألف ألف درهم وأنك أحمق

فقال : لا

فقلتُ له : ولِمَ؟

فقال : أخاف أن أبدد مالي بحمقي

فيذهب عني المال ويبقى الحمق

الدرس الرابع :
لم يعرف العرب قديماً لفظة المليون
وإنما كانوا يقولون ألف ألف
ثم تم تعريبها فصارت بذلك عربيّة
تجري عليها ما تجري على الألفاظ العربية نحواً وصرفاً واشتقاقاً
شأنها شأن المفردات المُعرّبة التي دخلت اللغة العربية في عصور الاحتجاج
أو فيما بعد وصولا لعصرنا هذا

.

الدرس الخامس :
ربوا أولادكم على قيمة الأشياء لا على ثمنها
الصحة أغلى من المال ولو كنت تملك منه ما يكفي لشراء أدوية العالم
النوم أغلى من المال ولو كنت تملك منه ما يكفي لتشتري أسرّة العالم
الضمير أغلى من المال ولو كنت تملك منه ما يكفي لشراء ضمائر العالم
الصدق أغلى من المال ولو كنت تملك منه ما يكفي لشراء كذابي العالم
المال يشتري مرافقين ولا يشتري أصدقاء
يشتري أرضاً ولا يشتري وطناً

يشتري ذهبا ولا يشتري حبيبة
يشتري منزلا ولا يشتري أسرة
علموهم أن يبحثوا عن القيمة لا عن الثمن
اجعلوهم بشرا لا آلات جمع أموال
المال إن كان عجلة الحياة فإنه ليس الحياة
ثمة أشياء في الحياة لها قيمة وليس لها ثمن
هذه الأشياء هي الحياة
كم هو ثمن دعاء أم
كم هو ثمن عطف أب
كم هو ثمن ولد صالح وبنت تقية
كم هو ثمن امرأة تجعلك عالمها
كم هو ثمن رجل يجعلكِ عالمه
كم هو ثمن ركعتين في جوف الليل
كم هو ثمن صدقة سر
كم هو ثمن نصيحة مُحب
كم هو ثمن أخ صديق
كم هو ثم أخت رفيقة
هي أشياء لا تُشترى!

مع معاوية ابن أبي سُفيان

روى الشهابيّ في كتابه «الغُرر الحِسان في تواريخ حوادث الأزمان» قال:

قال معاوية ابن أبي سُفيان :

إني لا أضعُ سيفي حيث يكفيني سوطي

ولا أضعُ سوطي حيث يكفيني لساني

ولو أن بيني وبين العامة شعرة لما انقطَعتْ

فقيل له : وكيف ذاك؟

فقال : إن جذبوها أرخيتها

وإن أرخوها جذبتها!

.

.

الدرس الأول :

معاوية رضي الله عنه صحابيّ جليل

وأحد دهاة العرب على مر العصور

استعمله النبي ﷺ في كتابة الوحي

وولاه عمر رضي الله عنه بلاد الشام

وأبقى عليه عثمان رضي الله عنه بعد وفاة عمر

وفترة ولايته لعمر وعثمان على الشام فترة ناصعة

لم يستطع حتى مبغضوه أن يأتوا بسقطة له وقبل كل هذا فإن أجر الصُحبة لا يعدله شيء

ولكن ما أدين الله به أن معاوية أخطأ في الخروج على عليّ رضي الله عنه

وأن دماً كثيراً قد سُفك لأجل الحكم
وأن قميص عثمان كان كقميص يوسف
ولكن فترة حكمه خليفة كفترة حكمه والياً
استتب فيها الأمن
وأُقيمت فيها الحدود
وأُكملت الفتوحات
وقُسّمت الأموال

•

الدرس الثاني :
إني لا أضعُ سيفي حيث يكفيني سوطي
ولا أضعُ سوطي حيث يكفيني لساني
العاقل يختار أسلحته بما يتلاءم مع معركته
فالافراط في القوة
كالافراط في الضعف
كلاهما مُضِر
بعض الأشخاص يكفِه نظرة ليعتدل فلا تُكلّمه
وبعض الأشخاص يكفه كلمة فلا تصفعه
وبعض الأشخاص يكفه صفعة فلا تجلده
وبعض الأشخاص يكفه جلدة فلا تقتله
الذي يستخدم أقوى أسلحته في أضعف خصومه يُستنفذ
انظر للجسم
إذا أخذ أدوية التهابات ذات تركيز عال

لم يعد يستجب للعقاقير ذات التركيز الأدنى
لهذا إن لم تقتضِ الضرورة لا يرفع الأطباء تركيز الدواء
لأن الاستجابة لدواء مركز فقط
ما هو إلا مرض آخر
والنفوس كالأجساد
لا بد من التدرج معها
إن كان هدفك كسر الأشخاص فاستخدم ما شئت من أسلحة
وإن كان هدفك تقويمهم فبما يُناسب
ولكن تذكر أنك إذا كسرتَ شخصاً
فقد أشهرتَ عليكَ سيفاً
فالناس لا يثورون إلا إذا لم يعد لديهم ما يخسروه

.

ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما قُطعتْ
إذا شدّوها أرخيتها
وإذا أرخوها شددتها

.

الدرس الثالث :
لا تُكافح النار بالنار
فالشجاع من أغمد سيفاً كان يمكن اشهاره

والأهوج من أشهر سيفاً كان يمكن اغماده
وتذكر أن الكثير من المشاكل
تحتاج إلى عقل لا إلى عضلات
كل عواصف الدنيا لا تستطيع أن تنزع رغيفا من يد طفل جائع
بينما النوم ينزع بندقية جندي شرس بسهولة ويسر

الدرس الرابع :
اختر توقيتك بعناية
التوقيت هو سر الكون الذي يعرفه الجميع ولا يلتزم به أحد!
الفصول لا تحضر باكراً
والشمس لا تشرق متأخرة
الحيوانات تتكاثر بوقت محدد
والطيور تهاجر بوقت محدد
ذلك أن سبحانه ضبطَ توقيت كل شيء ليستقيم الكون
وما نهاية الكون إلا إذنه سبحانه باختلال التوقيت
ومن خروج الشمس من مغربها إلا رسالته للناس
أن ما كان مضبوطاً برحمتي لم يعد مضبوطا بإذني
فاختر متى تطلب
واختر متى تعتذر
واختر متى تُصارح

الجاحظ وذكاء النساء

١

الجاحظ من أساطين النثر العربي
صحيح أنه لم يبدأ الأمر به
كما بدأ العروض بالخليل
وكما بدأ النحو بسيبويه
ولكنه ترك بصمة فيه لم يتركها أحد قبله
ويصعب أن يتركها أحد بعده
فإن كان المتنبي أمير الشعر
فالجاحظ برأيي أمير النثر
وكتابه البيان والتبيين قِبلة النثر
ما زال الأدباء والدارسون ييممون وجوههم شطره
رغم مرور ما يزيد عن الف عام على تأليفه
وقد قال ابن خلدون :
كتب النثر العربية أربعة
أدب الكاتب لابن قتيبة
والكامل للمبرد
والبيان والتبيين للجاحظ
والامالي لأبي علي القالي
وما تبقى من كتب فروع منها!

.

.

٢

قال الجاحظ :

كنتُ وجماعة على طعام

فأتت امرأة طويلة جداً

فأردتُ أن أسخر منها فقلتُ لها :

انزلي حتى تأكلي معنا

فقالت لي :

اصعد أنتَ ترى الدنيا!

٣

التقى الجاحظ بامرأة قبيحة في أحد حوانيت بغداد

وكان الجاحظ آية في القبح

وكان متصالحا مع نفسه

وقد روى طرائف عن قبحه

فقال : بسم الله الرحمن الرحيم :

﴿واذا الوحوش حُشرت﴾

فقالت : بسم الله الرحمن الرحيم :

﴿وضرب لنا مثلا ونسي خلقه﴾

٤

يقول الجاحظ :
مررتُ بسوق النخاسين في بغداد
فإذا بجارية للبيع
وكانت غاية في الجمال
وكان في خدها شامة
فاقتربتُ منها وقلتُ لها : ما اسمكِ؟
فقالت : مكة
فقلتُ لها : أتأذنين أن أقبل الحجر الأسود؟!
فقالت : بسم الله الرحمن الرحيم
﴿لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس﴾

٥

تعمدتُ في اختيار القصص أن يكنّ لنساء مختلفات
فالمرأة هي المرأة في تركيبها النفسيّ
بغض النظر أين وضعتها الحياة
غير أن الرجال يعتقدون أن النساء أقل عقلا منهم
وهذا خطأ فادح
المرأة عاطفية
وقد خلقها الله لتكون النصف الرقيق للانسان
وان كانت عاطفتها تؤثر على أحكامها العقلية أحيانا

فهذا لا يعني أن عقولهن أقل من عقول الرجال
في المواقف التي لا تتدخل فيها العاطفة
تتساوى المرأة بالرجل تماماً
مخطىء من يعتقد أن المرأة عاطفة
والرجل عقل
المرأة عاطفة والرجل عضلات
ولكن عقول الرجال أثرها أوضح لأن تركيبهم النفسيّ يختلف عن تركيب النساء
وهذه البشرية ذكورية بامتياز
لأن الذكور هم من يسيطرون على هذا الكوكب
يكتبون التاريخ
ويديرون الاقتصاد
ويستأثرون بالسياسة
ولكن ما أُعطيت المرأة فرصتها يوما الا وأثبتت نفسها
عندما قرضت الخنساء شعرا في سوق عكاظ
قال النابغة : الخنساء أشعر العرب
وعندما بدأ أمر السماء كان أول من أُعلم به امرأة
وعندما أمر النبي ﷺ أصحابه بحلق رؤوسهم يوم الحديبية
فأبوا أولاً حيث أخذتهم الحمية لله
قالت له زوجته : قم فاحلق أمامهم!
فلما فعل فعلوا
صحيح أن الإسلام قد منع المرأة من تولي بعض المناصب في المجتمع

كأن تكون خليفة مثلا
ولكن هذا ليس انتقاصا من قدراتها
ولكن لأنها خُلقت لشيء مهم وعظيم غير هذا
لقد أراد الاسلام أن لا يكلفها ما لا تطيق
فالحكم للعقل والعضلات
والمرأة كائن حساس ورقيق
انه بهذا لم يزدريها بقدر ما أكرمها
فمساواة المرأة بالرجل مطلقا ظلم للمرأة
المساواة في الحقوق والكرامة أمر دافع عنه الاسلام بشراسة
ولكن الوظائف في الحياة اعطى فيه كل ذي حق حقه
وفق ما خُلق به وله
الذين يُطالبون بمساواة المرأة بالرجل مطلقا
هم في الحقيقة يظلمونها من حيث لا يدرون
على المرأة أن تقف ضدهم دفاعا عن أنوثتها
فهذا أجمل ما فيها
وعليها أن تقاتل كي لا تخسره
وعلى الرجال أن يفهموا أن المرأة مختلفة عنهم
وليست متخلفة عنهم
كل رجل ناجح بقي في بطن امرأة تسعة أشهر طفيليا يقتات
غذاءها وصحتها وعافيتها
ثم قطعة لحم بين يديها
ترضعه وتنظفه وتحنو عليه
ثم تربيه وتعلمه

وتصقله وتعده للحياة
هذه التي اقل شأنا هي التي رفعت شأنك
ولو فكرت بعقلها دون عاطفتها
ما كنت ما أنت عليه الآن
لو لم تكن المرأة عاطفية ما كانت لترضى عند أول كلمة بعد كل خصام
لو لم تكن عاطفية أين سنذهب بحثا عن حنان
خلق الله المرأة أكثر عاطفة
ولكنه لم يخلقها أقل عقلا
ولكنه سبحانه لتستمر الحياة أعطاها فيض عاطفة
خلقهن الله مختلفات لنكتمل بهن
وليكتملن بنا
الأقطاب المتشابهة في المغناطيس تتنافر
والأقطاب المختلفة تتعانق
المرأة هبة وليست لعنة
هدية وليست مصيبة
افخرن بأنفسكن
انتن النصف الرقيق والحساس للبشرية
ابقين نساءً
لا تسمحوا لهم أن يسلبوا منكن أجمل ما فيكن
دافعوا عن أنوثتكن حتى الرمق الأخير
هذا العالم لا يحتاج إلى جنود أكثر
ولا يحتاج إلى وزراء أكثر

ولا يحتاج إلى تجار أكثر

ولا يحتاج إلى مزارعين أكثر

هذا العالم يشكو نقصاً حاداً في الحب

وهذه وظيفتكن

وهذا ما خُلقتن له

وإن لم تقمن بوظيفتكن سيغدو هذا العالم عاطلاً عن الحياة

ماذا أفعل بالصباح دونكِ

١

على سيرة الصباح : كئيب هذا الصباح دونكِ
على سيرة القهوة : القهوة دونكِ عِقاب
على سيرة الشمس : متى يُشرق وجهكِ
على سيرة الزقزقة : متى يأتي صوتكِ
على سيرة الورد : اشتقتُ لرائحتكِ
على سيرة الياسمينة في باحة الدار : اشتقتُ ليديكِ
على سيرة سواد كل شيء في غيابكِ : اشتقتُ لعينيكِ

٢

ماذا أفعل بصباح لستِ فيه
ماذا أفعل بجمعة لا أعتلي فيها منبر قلبكِ وأخطبُ فيكِ خطبة عصماء من كلمة واحدة :
أحبكِ
ماذا أفعل بعينين لم تتكحلا بعينيكِ
ماذا أفعل بشعر لم تُسرّحيه بأصابعكِ
ماذا أفعل بوجه لم ترسمي حدوده بيديكِ
ماذا أفعل بهواء لم تتنفسيه
ماذا أفعل بفطور لم تعديه

.

٣

على سيرة كوب الماء : عطشانٌ إليكِ
على سيرة قطعة الحلوى : جائع إليكِ
على سيرة كتاب النحو : مكسور دونكِ
على سيرة ديوان الشعر : وزني أنتِ
على سيرة المعجم : أبحثُ عنكِ
على سيرة كتاب الجغرافيا : عالمي أنتِ
على سيرة قواعد الإملاء : هاتي ضمة

.

.

٤

على سيرة نشرة الطقس : غائم دونكِ
على سيرة نشرة الرياضة : مهزوم دونكِ
على سيرة نشرة الاقتصاد : مفلس دونكِ
على سيرة النشرة العادية : في داخلي ألف قتيل لا يحييهم إلا ابتسامتك

٥

على سيرة النمل : أنتِ سُكّر

على سيرة الأسُود : افترسني غيابكِ

على سيرة الجِمال : حياتي دونكِ صحراء

على سيرة الهداهد : هل من رسالة؟

٦

على سيرة النفط : نضبتُ

على سيرة الماء : جففتُ

على سيرة الحرب : انهزمتُ

على سيرة الاعتراف : اشتقتُ

أبو بكر... الإنسان والخليفة

١

حيث ينتهي الأنبياء يبدأ أبو بكر
وحيث ينتهي أبو بكر يبدأ الناس!
أبو بكر فيه عدل عمر وحزمه
ورأفة عثمان وكرمه
وعقل عليّ وحكمته
وشجاعة خالد وبأسه
وبصيرة ابن عباس وعلمه
وذكاء عمر بن العاص ودهاؤه
وحكمة معاوية وتدبيره
ورقة أبي عبيدة وأمانته
فإذا سكبتَ عمر وعثمان وعليّ وخالد وابن عباس وابن العاص ومعاوية وأبي عبيدة في انسان واحد حصلتَ على أبي بكر!

٢

في الجاهلية :
كان أبو بكر منذ البداية مهيئا ليكون أبا بكر
كان صغيرا عندما أوقفه أبوه أمام هُبل وقال له هذا الهك!
فقال أبو بكر لهُبل :

اسقني . . . اطعمني . . اشفني ، فلم يجبه
فقال له : بئس الرب أنت
ومن يومها نشأ قرشياً على غير دين قريش كصاحبه!
كان مُعداً جيداً ليخلف صاحبه حتى قبل أن يلتقيه
لم يشرب خمراً
لم يئد بنتاً
ولم يأكل رباً
ولم يعرف بغياً
كان رفيعاً في أخلاقه
شريفاً في نسبه من بني تيم
ولأن الطيور على أشكالها تقع
وقع على محمد ﷺ ووقع محمد عليه

.

٣
في الإسلام :
يقول النبي ﷺ :
«ما عرضتُ الإسلام على أحد إلا رأيتُ حيرة في عينيه أجابني أم لم يُجبني إلا أبا بكر»
كان مُعداً باتقان ليكون صدّيقا
كل ما كان ينتظره لحظة ميلاد
وعندما أُعرج بالنبي ﷺ

.

ولم يكن أبو بكر قد علم بالأمر بعد
وجدتها قريش فرصة سانحة لأخذ أبي بكر من محمد
فقالوا له : إن صاحبك يزعم أنه أُسري به إلى بيت المقدس وعاد في ليلة
فقال لهم : والله لو قال لي أنه أُعرج به إلى السماء لصدقته!

.

كان ثرياً جداً
أوقف ماله كله في دعوة صاحبه
لم يكن بلال هو الوحيد الذي اشتراه أبو بكر ثم باعه لله
ولكنه الأشهر لهذا نعرفه
وعندما يأتي بماله للنبي ويسأله :
ماذا تركتَ لأهلكَ
فقال : تركتُ لهم الله ورسوله
وضع المال تحتَ قدميه لهذا ارتفع فوقهم جميعاً
وعندما جاء عمر يوم تجهيز جيش العسرة بنصف ماله محدثاً نفسه :
اليوم أسبق أبا بكر
وجد أبا بكر قد جاء بكل ماله
فعرف الفاروق يومذاك أن أبا بكر لا يُسبق

٤

في الخلافة

حياة النبي ﷺ كشفت لنا أبا بكر الرقيق والجواد

وموته ﷺ كشف لنا أبا بكر الشجاع والمغوار

الرقيق الذي كان لا يقوى على القرآن فيبكي عند أول آية

هو الوحيد الذي كان جلداً في الأزمة الكبرى

كان من المفترض بحسب ظاهر الأمور أن يعتلي عمر المنبر فهو أقوى

وكان من المفترض أن يفعلها خالد فهو الفارس

أو عليّ فهو الحكيم

ولكن كان لها أبو بكر

«من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت»

أبو بكر درس بأن لا نأخذ بالظاهر

وأن في داخل كل إنسان إنسان آخر

ويوم الردة أشار جمهور الصحابة على أبي بكر بأن لا يُحارب

فأمسك بتلابيب عمر وقال له :

أجبار في الجاهلية خوار في الإسلام

والله لو منعوني عقال بعير كانوا يدفعونه لرسول الله لقاتلتهم عليه

ولاقاتلن من يفرق بين الصلاة والزكاة أينقص الإسلام وأنا حي

إن كانت الخلافة أظهرت لنا أبا بكر السياسي والمحارب

فلم تخفِ أبا بكر الإنسان

فيوم تولى عمر الخلافة بعد وفاة أبي بكر

خرج إلى الطريق فرآه أولادٍ صغار يلعبون فهربوا لشدة ما كان مهابا

فبكى عمر

فقال له أبو عبيدة : ما يبكيك

فقال له : هؤلاء الصبية كانوا يأخذون بثوب أبي بكر بالأمس ويقولون له يا أبتاه يا أبتاه

في رحاب الكهف ٢
صاحب الجنتين

١

كان في بني إسرائيل رجلان
الأول كافرٌ ويُدعى براطوس
والثاني مؤمن ويُدعى يهوذا
وكان براطوس فاحش الثراء
وكان يهوذا شديد الفقر
الدرس الأول :
إن الله يعطي الدنيا لمن يُحب ولمن يكره
ذلك أنها لا تُساوي عنده جناح بعوضة
ولكنه لا يُعطي هذا الدِين إلا لمن يحب
ملكَ سُليمان عليه السلام الأرض من مشرقها إلى مغربها
وكذلك فعلَ النمرود
ولو كانت الدنيا مقياسا لما ساوى الله بين نبي وأحد أشهر الكفار في التاريخ
جيد أن تتفقد مقدار المال في جيبك
ولكن الأجود أن تتفقد مقدار الله في قلبك
وإذا تعلق الأمر بالمال انظر لمن هم أفقر منك يسترح قلبك
وإذا تعلق الأمر بالدِين انظر لمن هم أعلى منك تجتهد

٢

﴿ واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا ، كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا ﴾

الدرس الثاني :

الابتلاء بالغنى أشد من الابتلاء بالفقر

ذلك أن من طبيعة النفس البشرية أنها تبتعد عن خالقها في الرخاء وتلزمه وقت الشدة

إذا مرضنا لهجنا بالدعاء وإذا شُفينا تركناه

إذا كان عندنا مقابلة عمل نهضنا فصلينا الفجر وإذا توظفنا نمنا عنها

الفقر مع الصبر نعمة

والغنى مع الشكر نعمة

المصيبة أن يجتمع في الإنسان الفقر مع التذمر

والغنى مع الكفر

.

٣

﴿وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً﴾

لم يخبرنا الله بزمان ومكان قصة صاحب الجنتين

ذلك أنها قصة قابلة للحدوث في كل زمان ومكان

فالقصص في القرآن ليست قصص أشخاص بقدر ما هي قصص مواقف وأفكار

خذ سورة يوسف مثلاً
يوسف يمثل العفة
زليخة تمثل الشهوة
فالقصة ليست قصة يوسف وزليخة
فالقرآن ليس كتاب قص وتسالي
القصة بالدرجة الأولى كيف تكون العفة ازاء الشهوة
والعفة والشهوة في صراع دائم منذ نشوء البشرية
إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها
وهكذا قصة صاحب الجنتين
قصة حدث بالأمس وتحدث اليوم وستحدث غداً
إنها اغترار الإنسان بما يملك

.

٤

﴿ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً ، وما أظن الساعة قائمة ولئن رُددتُ إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا﴾
الدرس الرابع :
ما أحلمه
يُعطي فلا نشكر فلا يمنع
ويهدي فلا نلزم فلا يُضل
إن ابتعدنا قرّبنا
وإن تقرّبنا رفعنا

إن نسيناه عذرنا

وإن ذكرناه شكرنا

والله لو كان أمر السماء والأرض بيد انسان مؤمن لأطبق السماء على الأرض في كل يوم مئة مرة لشدة ما يتجرأ الناس على الله

ولكنه سبحانه رحمته سبقت غضبه

٥

﴿أكفرتَ بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً ، لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحداً﴾

الدرس الخامس :

لو تذكر الإنسان خلقه ما فجر

ما أهوننا على الله إذ أخرجنا من مخرج البول مرتين

مرة ماء مهينا من آبائنا

ومرة طفلا عاجزاً من أمهاتنا

فوضع في قلوب الأمهات الرحمة

وفي قلوب الآباء الشفقة

فإذا ما اشتد العود

وجاء المال جحدنا

عقوق وما بعده عقوق

٦

﴿ولولا إذ دخلت جنتك قلتَ ما شاء الله لا قوة إلا بالله . . .﴾

الدرس السادس :

ما شاء الله لا قوة إلا بالله

عبارة عذبة

ذلك أنه لا يحسد المال أكثر من صاحبه

ولا تصيب الولد الجميل بالعين أكثر من أمه

فإن أعجبك شيء لكَ رددها تحمي أشياءك من الضرر

وإن أعجبك شيء لغيرك رددها تحمي قلبك من الضيق والحسد

٧

وأخيراً يُحاط بثمر الغني

وتفسد جنته

ذلك أنه بالشكر تدوم النعم

والنعم ليست مالا فحسب

السطحيون يحسبون أن ما دخل دفتر البنك نعمة وما عداه ليس كذلك

الصحة نعمة

والعلم نعمة

والزوجة الصالحة نعمة

والولد البار نعمة

﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾

ما يعتقده الرجال عن النساء

يُحكى أن أحد فلاسفة الرومان كان قد تجاوز الستين من عمره
وكان له زوجة جميلة في العشرين من عمرها!
وكان يُحبها حُباً جماً
ولم يكن يُنغّص عليه حياته إلا أنه كان دوماً يُفكر بفارق السن بينهما
وأنها ستتزوج رجلاً غيره بعد موته
فكانت تُهدئ خاطره بحلو الكلام
وتدعو الله على مسامعه أن يجعل يومها قبل يومه
فيهدأ أياماً ثم ما يلبث أن يعود سيرته الأولى
وحدث ذات ليلة أنه كان عائداً إلى بيته وبجانب الطريق الموصلة إلى بيته مقبرة
فلفت نظره امرأة في مقتبل العمر
جالسة على قبر جديد
وبيدها مروحة من تلك التي كانت تحملها النساء وقتذاك تحركها فوق القبر
فتقدم منها وسألها : ماذا تفعلين؟
فقالت له : إليكَ عني فإني منهمكة بما تراني به وفي غنى عن الكلام
فقال له : أنا أحرك المروحة بدلا عنك وأنتِ حدّثيني
فقالت له : هذا الذي في القبر زوجي
وكنا قد تعاهدنا إذا مات أحدنا أن لا يتزوج الآخر حتى يجف قبر صاحبه

وقد توفي منذ أيام
وجاءني خاطب لا يُرد
وأردتُ أن أفيّ بوعدي وأبرّ بقسمي!
شكرها الفيلسوف على وفائها ونار الغضب تتأجج داخله
وصار يتخيل أنه صاحب القبر وزوجته صاحبة المروحة
ثم إن المرأة شكرته على معروفه وأعطته المروحة تذكاراً
عندما وصل الفيلسوف إلى بيته
رأت زوجته المروحة فثار غضبها واشتعلت نار الغيرة في صدرها
وسألته : من هي البغي اللعوب التي كنت معها
فابتسم وقصّ عليها القصة
فاعتذرت إليه وشتمت النساء الخائنات اللائي لا يحفظن عهداً
وأخبرته أن أصابعه كلها ليست متشابهة
وبعد أيام مرض الفيلسوف فدخل عليه الطبيب وخرج ليخبرها أن حالة زوجها ميؤوس منها
وبعد ساعة خرجت الخادمة من غرفة الفيلسوف تصرخ أن الفيلسوف مات
فأمرت الخدم أن ينقلوا الفيلسوف إلى طاولة مكتبه حسب وصيته
وجلست تبكيه بمرارة
وما هو إلا وقت قصير حتى قُرع الباب وجاءت الخادمة لتخبرها أن أحد طلاب الفيلسوف جاء يزوره
فقالت لها : أخبريه أنه قد مات واصرفيه
عادت الخادمة إلى سيدتها لتخبرها أن التلميذ أغمي عليه لما سمع الخبر

فطلبت من خادمتها أن يرشوا عليه بعض الماء ويصرفوه
ولكن الخادمة عادت لتخبرها أنه لا يستجيب وما زال فاقدا للوعي
فطلبت من الخدم حمله لغرفة الضيوف
ولما دخلت عليه خُيل إليها أن الضوء الذي يضيء الغرفة خارج من وجهه لا من المصباح لشدة جماله
فلما أفاق قالت له :
أنت حزنك على معلمك وأنا حزني على زوجي
إن حزننا في شخص واحد
ولينام هذا الشخص في قبره سعيدا يجب أن تضع حزني على حزنك ونتزوج!
فقال له الشاب : كم يسعدني أن أحفظ زوجة أستاذي
ولكني مريض كما ترين وكلما انفعلت فرحا أو حزنا أُغمي عليّ
وإن دوائي عسير
فقالت له : لو كان دواؤك في الارض السابعة لنبشتها لكَ وأخرجته
فقال لها : إن دوائي أن آكل مخ رجل لم يمض على موته وقت طويل
فأطرقت تفكر ثم نهضت وقالت له : دواؤك عندي
فحملت الفأس وفتحت باب المكتبة ورفعت يدها لتشق رأس زوجها
عندها فتح الفيلسوف عينيه وقال لها : أليست المروحة في يدها أجمل من الفأس في يدك
فضحك الشاب والخادمة وعرفت الزوجة أن الأمر كان مجرد اختبار فشلت به
فوقعت على الأرض وماتت من هول الصدمة

باختصار هذا ما يعتقده الرجال عن النساء
أن المرأة ستذهب مع أول حبيب بعد حبيبها
وستقبل بأول زوج بعد زوجها
غير أني على المستوى الشخصيّ أعرف عشرات الرجال ممن فقدن زوجاتهن ولم يبقَ أحد منهم أعزباً بعد وفاة زوجته
وأعرف عشرات النساء اللائي فقدن أزواجهن وكثيرات منهن اخترن أن لا يتزوجن وآثرن أن يربين أولادهن ويعشن على ذكرى أزواجهن
مع أن هذا من حقهن لو فعلن
وليس في الأمر خيانة
الأمر حق للرجل
وحق للمرأة بعد زوجها
ولكن هذا ما يعتقده الرجال عن النساء

.

.

إن كانت هذه القصة أقرب للأساطير منها للواقع
فإنها وإن صحّت تقدح بامرأة واحدة ولا تقدح بعموم النساء
إذا خان رجل فليس كل الرجال خونة
وإن خانت امرأة فليست كل النساء خائنات
التعميم أمر بغيض
والوفاء كالصدق كالكذب كالغدر كالكرم
ليس رجلاً ولا امرأة
يقع في النساء كما يقع في الرجال

.

وإن كانت قصة الفيلسوف من الممكن أن لا تصح
فإنه قد صح أن معاوية رضي الله عنه خطب عاتكة بنت الأحوص
زوجة عثمان بن عفان رضي الله عنه بعد مقتله
فقالت لرسول معاوية : لا حاجة لي في الرجال بعد عثمان فأقرئه السلام وقل له إن النساء كثير
فقال الرسول : ولكنه خطبكِ أنت
فقالت له : ما أعجبه مني
فقال : ثناياكِ ، أي مقدمة أسنانك وكناية عن الابتسامة
فقامت وخلعت ثناياها بيدها وقالت له : أعطها لأمير المؤمنين وأخبره أن عاتكة لا حاجة لها بالرجال بعد عثمان!

«في الأدب الجاهلي» لـ طه حسين

للقرآن أن يحدثنا عن ابراهيم واسماعيل عنهما ولكن ورود هذين الاسمين في القرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي فضلاً عن إثبات هذه القصة التي تُحدثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة ونشأة العرب المستعربة فيها ونحن مضطرون إلى أن نرى في هذه القصة نوعاً من الحيلة في إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة ، وبين الإسلام واليهود والقرآن والتوراة من جهة أخرى

.

هذا كلام طه حسين بالحرف
طبّق مبدأ ديكارت بالشك فصار يريد أن يحتج على القرآن بالتاريخ!
التاريخ المليء بالخرافات والأساطير
التاريخ الذي يكتبه المنتصرون ويوقع عليه المنهزمون
التاريخ الذي نادى أهله أنفسهم بضرورة تنقيحه ورأى هيغل أنه لا يصح من التاريخ إلا ما يقارب عشرين بالمئة منه
طبعا لن أبحث عن اثبات أن ابراهيم واسماعيل وُجدا فعلا في حقبة تاريخية
يكفي أن القرآن ذكر ذلك ليكون!
القرآن حجة على التاريخ وليس التاريخ حجة على القرآن
الأمر أبعد من إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام
والقصة أقبح من انكارهما أو الشك بهما
الفكرة أن طه حسين وكثر على شاكلته ليسوا أشخاصاً بل مشاريع

و معاول هدم
وبالمناسبة فالتاريخ لا ينكر وجود إبراهيم وإسماعيل
ولكن كما أسلفتُ فالقصة أبعد منهما
القصة بوابة للتشكيك في القرآن
وكأنه كتاب اساطير علينا أن نضع قصصه موضع الشك والتأمل
وهجرة إسماعيل حيلة
ويذكر في مواضع أخرى أن الذبيح لم يكن إسماعيل إنما اسحق
وأن النبي لدوافع عربية جعله اسماعيل
تشكيك بالنبوة أيضا
ماذا يبقى من الإسلام بعد
هذا هو عميد أدبكم يا قوم!
ولمثله أقول :
لو ذكر الله في القرآن أن البحر حلو وشربت منه ووجدته مالحاً
لصدقتُ الله وكذبت فمي
إننا نؤمن بسراط لم يمشِ عليه أحد
ونار لم يتعذب بها أحد
وجنة عرضها السماوات والأرض
وملائكة يجوبون الكون بلمح البصر
يكفي أن الله قال لنؤمن
فليذهب ديكارت إلى الجحيم
ولتذهب فلسفته «أنا أشك إذا أنا موجود» معه
قضيتهم باختصار : أنا أشك إذا أنا دبوس!

يذهب طه حسين بعدها ليشكك بالأدب الجاهلي ويعتبر أن المعلقات منحولة وأنها قيلت بعصر صدر الإسلام
ويسوق على هذا أدلة يمكن الرد عليها
وحين يشكك بالأدب الجاهلي
ويتهم الرواة فهذا حقه
المعلقات مادة أدبية خاضعة للدرس والتأمل والرأي
ولكن الوقاحة أن ننزل القرآن منزل القصة والقصيدة

.

أما بخصوص أدلته على أن الشعر الجاهلي منحول
فهو يتساءل لمَ تختلف مفردات القرآن عن مفردات المعلقات رغم أن المدة الزمنية بينهما قصيرة
وأين لهجات العرب لماذا نجد المعلقات على لهجة واحدة مع معرفتنا بمدى تعصب العربيّ للهجته وقبيلته

.

وهذا أرد عليه بأربع نقاط
١, اللغة العربية ثلاث أقسام نثر وشعر وقرآن
فالقرآن ليس شعرا ولا نثراً
حتى يُقاس عليه شعر الجاهلية أو نثره
ولكن لو قرآنا نثر الجاهلية وسجع الكهان
لوجدناه مختلفا عن الشعر الجاهلي
اذ لكل من الثلاثة مفرداته

١ . المعلقات محاولة ادبية
فيها المبالغة والفخر والهجاء
والقرآن جاء كتاب دين
جاء ليلغي أخلاق الجاهلية
فلما غايرها بالمواضيع غايرها بالمفردات

٣ . كان لكل قبيلة لهجة ومفردات سائدة فيها
وكان للعرب لهجة أدبية اتفق حولها القوم
ألا وهي لهجة قريش
تماماً كما نتكلم نحن اليوم بلهجاتنا العامية ونفهم اللغة الفصيحة ونتخاطب بها
فهم صاغوا معلقاتهم بحسب بيئاتهم ومفرداتهم
بينما نزل القرآن بلهجة قريش
اللهجة التي تشكلت عبر مئات السنين من تلاقح اللهجات العربية في قريش
ومعروف تعصب العربي لقبيلته
واللغة شيء من هوية القبيلة
بينما نزل القرآن بلهجة قريش

٤ . يتساءل طه حسين أين لهجات العرب
لماذا لم نجدها في المعلقات
وكأنها كلها لهجة واحدة
اللهجة ظاهرة صوتية

لا ظاهرة كتابية

وقد وصلتنا المعلقات مكتوبة

فعلى سبيل المثال

الإمالة وهي الجنوح بالألف المقصورة إلى الياء لهجة عربية

كما نجدها في قراءة ورش

﴿سبح اسم ربك الأعلي﴾

فعندما ينطقها من يتكلم بلهجة الامالة ينطقها ياء

ولكن عند كتابتها تُكتب الفا

لهذا لا تظهر اللهجة في المعلقات

عجوز بني إسرائيل

عن أبي موسى الأشعري
أنّ النبي ﷺ نزل بأعرابي فأكرمه
فقال له : يا أعرابي سل حاجتك
قال : يا رسول الله ، ناقة برحلها وأعنز يحلبها أهلي
فقال له النبي ﷺ :
أعجزتَ أن تكون مثل عجوز بني إسرائيل؟
فقال أصحابه : يا رسول الله ، وما عجوز بني إسرائيل؟
فقال : إن موسى أراد أن يسير بني إسرائيل فأضل عن الطريق ،
فقال له علماء بني إسرائيل : نحن نحدثك أن يوسف أخذ علينا
مواثيق الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا
قال : وأيكم يدري أين قبر يوسف؟
قالوا : ما تدري أين قبر يوسف إلا عجوز بني إسرائيل
فأرسل إليها وقال : دليني على قبر يوسف
فقالت : لا والله لا أفعل حتى أكون معك في الجنة
قال : فسكت موسى لأنه لا يملك هذا
فأوحي إليه : أعطها حكمها فأعطاها حكمها
فأتت بحيرة فقالت : أنضبوا هذا الماء
فلما نضبوه قالت : احفروا هاهنا
فلما حفروا إذا عظام يوسف
فلما أقلوها من الأرض فإذا الطريق مثل ضوء النهار
.

العبرة الأولى :
عظام يوسف أي جسده
فالأرض لا تأكل لحوم الأنبياء
والعرب تُكني عن جسد الميت بالعظم
باعتبار الغالب فأغلب الجثث إنما تصير عظاما
هذا ما أراه في تفسيرها
ويذكر الألبانيّ رحمه الله كلاماً جميلا في شرح الحديث
إذ يعتبر أن عظام يوسف جاءت من باب اطلاق الجزء على الكل
وبعض الإنسان عظم
وهذا معنى معروف عند العرب
كما في قول الله تعالى :
﴿وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾
فذكر سبحانه الجزء وهي التلاوة في صلاة الفجر
مكان الكل وهي صلاة الفجر
وإن كنتُ أرى أن في الآية كناية أخرى
وهي حث منه سبحانه على إطالة القراءة في صلاة الفجر زيادة عما سواها من الصلوات
فإذا نُفذ الحث صارت القراءة أطول الأقسام
فأُطلق عليها قرآنا لا صلاة من باب الغالب عليها
ومعنى التغليب هو ما ذكرته بداية هذه الفائدةً

العبرة الثانية :

شقّ الملائكة صدره وغسلوا قلبه بماء الجنة

وأعطاه الله نهر الكوثر

ودعاه لزيارة السماء

فبقي متواضعاً

يأكل طعام أعرابيّ

ويسعى في حاجة الأرملة والمسكين

ويشفع لأمَةٍ عند سيدها

ويزور المريض

ويصلي على امرأة مسكينة كانت تنظف المسجد

وكانت تمضي الشهور ولا يوقد في بيته نار لأن أهله لم يجدوا طعاما يطبخوه

فتواضعوا

.

.

العبرة الثالثة :

إن أسدى إليك أحد معروفاً فلا تنسه

انظر إليه ما أعظمه

تُفتح له باب خيمة في الأرض

فيفتح أبواب السماء بوجه صاحبها

يا أعرابي سلني حاجتك

كان لا ينسى معروفا

يوم رُجم في الطائف ورفضت قريش ادخاله مكة

أجاره مطعم بن عدي وكان مشركا
ويوم وقف على أسرى بدر قال :
لو كان مطعم بن عدي حياً وكلمني فيهم لوهبتهم له
كان لا ينسى معروفا أُسدي له
ولو كان صاحب المعروف ميتا على الشرك

العبرة الثالثة :
كن طموحاً
واغتنم الفرص
ما أشقاه هذا الأعرابي تُفتح له أبواب السماء
فيسأل شيئا من حقير الأرض
الأشياء التي لا تُقدّر بمال هي الأشياء التي تُطلب

العبرة الرابعة :
تحيّن الفرص لاسداء الموعظة
ثمة مواقف تستدعي الموعظة فلا تضيعها
كانت وظيفته أن ينقل تفكير أهل الأرض من الأرض إلى السماء
فلما جاءت الفرصة اقتنصها
أخذهم على متن قصة من الأرض إلى السماء

علمهم بأسلوب شيّق وخفيف عظة عظيمة
سر الأشياء يكمن في بساطتها

.

العبرة الخامسة :
سل عما لا تعرفه
هذا كليم الله موسى
أكثر الأنبياء ذِكرا في القرآن
ومن أولي العزم من الرسل
قال له ربه : ﴿واصطنعتك لنفسي﴾
وقال له : ﴿ولتصنع على عيني﴾
وقال له : ﴿وألقيتُ عليكَ محبة مني﴾
يسأل عجوزاً عن شيء لا يعرفه
ليس عيباً أن تسأل أو تتعلم
ليس عيباً أن يولد الإنسان جاهلاً
العيب أن يموت كذلك

.

العبرة السادسة :
مشروعيّة الوصية
هذا يوسف العفيف يوصي احملوني إلى بيت المقدس إذا خرجتم

من مصر

وتتحول الوصية من الإباحة إلى الوجوب إن كان للناس عليك حقوقا

فالأعمار بيد الله

ومن علامات الساعة موت الفجأة

وقد كثُر

فلا يخرجن أحدكم من الدنيا ولأحد عليه شيء

فإن كانت منية الله سبقت سدادك ما عليك

أدى من بعدك ما عليك

فيصل إلى الناس حقوقهم

ولا تُسأل عنه حيث لا درهم ولا دينار

وقد يكون لك حقوقا عند الناس فورثتك أولى به

كانوا عشاقاً

١

يقول الأصمعي :

بينما كنت أسير في البادية إذ مررتُ بحجر مكتوب عليه هذاالبيت :

أيا معشر العشاق بالله خبِّروا

إذا حلَّ عشق بالفتى كيف يصنعُ

فكتبتُ تحته البيت التالي :

يداري هواه ثم يكتم سـرهُ

ويخشع في كل الأمـور ويخضعُ

يقول الأصمعي ثم عدتُ في اليوم التالي فوجدت مكتوبا تحته هذا البيت :

وكيف يداري والهوى قاتل الفتى

وفي كل يوم قلبه يتقطعُ

فكتبتُ تحته البيت التالي :

إذا لم يجد صبرا لكتمان سره

فليس له شي سوى الموت ينفعُ

يقول الأصمعي :

فعدتُ في اليوم الثالث ، فوجدتُ شابا ملقىً تحت ذلك الحجر ميتاً ، ومكتوب تحته هذان البيتان :

سمعنا أطعنا ثم متنا فبلّغوا

سلامي إلى من كان بالوصل يقطعُ

هنيئا لأرباب النعيم نعيمهم
وللعاشق المسكين ما يتجرعُ

.

.

٢

ذكرتُ في صباح سابق رأيي ببعض قصص الأصمعي
وأني على يقين أن كثيراً مما ذكر أنه شاهده قد سمعه
وأن كثيراً مما ذكر أنه وقع عليه قد ألفه
ويشهد الله أنه أبدع إذ ألّف
وأنه عندي من أمتع من تحدثوا عن الأعراب وأخبارهم
فإن لم تصح هذه القصة لفظاً فانها تصح معنى
كان القوم عشاقا بكل ما تعنيه الكلمة من معنى
كان الحبيب يُعرف بين الناس بحبيبته
فيقولون قيس ليلى
وجميل بثينة
وكُثير عُزة
كانت امرأة واحدة في عين حبيبها كل النساء
وكان رجل واحد في عين حبيبته كل الرجال
كان الحب جميلاً وقتذاك
لم يكن عندهم فالانتاين كان عندهم حب حقيقي
لم يكن عندهم بطاقات ملونة تُباع في المكتبات
كان عندهم قصائد يكتبونها بأنفسهم

لأنهم يعرفون أن الكلام الذي قيل لامرأة لا ينبغي أن يُقال لسواها
وأن القصيدة التي تقال لرجل لا ينبغي أن تُقال لسواه
لم يكن عشاقهم يخلطون بين حبيباتهم فلكل عاشق حبيبة واحدة
ولم يكن لديهم «واتسآب» فيه عشرات الحبيبات
وكانت الحبيبة تقاتل لأجل حبيبها ولا تمضي لخيمة أول خاطب جاهز
رغم أن النساء كُنّ ضعيفات مقارنة بنساء اليوم
فلم تكن القبائل ترضى أن يربي الآخرون بناتها كما نقبل نحن
ولو أن مبعوثا للروم أو الفرس جاء ليعلمهم حقوق المرأة لشقه شيخ القبيلة نصفين
كان حبهم جميلاً
تشعر وأنت تقرأ قصصهم أنك تريد أن تحمل سيفا وتقطع رأس والد ليلى لأن رأسه يابس
ولا يريد أن يزوجه إياها
تشعر أنك لو سمعته يناجي ربه في الحج :
تبتُ إليك يا رحمن من كل ذنب
أما عن هوى ليلى فإني لا أتوب
تشعر أنك لو سمعته لحضنته
وتعرف أنك لو قلت له : النساء غيرها كثير
لدفنكَ في عرفة

الأزواج والزوجات

روى الأصفهانى في الأغانى ، أن المغيرة بن شعبة قال :
النساء أربع والرجال أربعة
رجل مذكر وامرأة مؤنثة فهو قوام عليها
ورجل مؤنث وامرأة مذكرة فهي قوامة عليه
ورجل مذكر وامرأة مذكرة فهما كالوعلين ينتطحان
ورجل مؤنث وامرأة مؤنثة فهما لا يأتيان بخير ولا يُفلحان

.

هناك شيء اسمه الفِطرة
جَبَلَ الله تعالى كل مخلوقاته عليها
والمخلوق الوحيد الذي يحاول التصرف خلافا لفطرته هو الإنسان!
أسماك السالمون لم تحاول يوما أن تسبح مع التيار لتتكاثر لأنها مفطورة لأن تسبح عكسه
والنحل لم يحاول يوماً أن يُغير شكل قرص العسل لأنه مفطور أن يصنعه سداسياً

والطيور لم تُغير توقيت هجرتها من قارة إلى قارة لأنها مفطورة أن تُهاجر في وقت محدد إلى مكان محدد
منذ ملايين السنين والأسود تصطاد ذات الطرائد
والأبقار ترعى ذات العشب
منذ ملايين السنين تدفن السلاحف البحرية بيوضها في الرمل
ومنذ ملايين السنين تعود السلاحف الوليدة فور خروجها من

بيوضها إلى البحر لأنها مفطورة ألا تعيش على اليابسة
وحده الإنسان يحاول ابتكار طرق حياة خلافا لفطرته

.

خلق الله تعالى آدم عليه السلام من التراب
ثم خلق حواء من ضلعه
فحواء بهذا المفهوم هي جزء من آدم
والجزء مفطور لأن يتبع الكل
والكل مفطور لأن يقود الجزء
فالرجل قائد المرأة لا سيدها
والمرأة تعيش في كنفه وليست أمَته
لم تكن القضية يوما من يسيطر على من
ولا من يُلغي من
القضية كانت دوماً في أن يحنو الكل على جزئه
وأن يحتمي البعض بكله
وحين فطر الله الرجل ليكون قواماً
هذا يعني أنه جعل المرأة إحدى مسؤولياته
لا إحدى ممتلكاته
وحين فطر المرأة لتعيش في كنف الرجل
فلأنه فطره أولاً أن يحب رقتها
ويستعذب لجوءها إليه
لجوء أنثوي تمارس فيه المرأة فطرتها دون أن تشعر أنها تمتهن إنسانيتها
إنها الطريقة المتقنة التي أبدعها الله لتستمر الخليقة
فالرجل حين يتصرف على أساس أنه يحمي امرأته ويعطف عليها

لا يشعر أنه يتصدق عليها بقدر ما يشعر أنه يحقق رجولته
والمرأة حين تعيش رقيقة في كنف رجُلها لا تشعر أنها تابعة بقدر ما تشعر أنها تحقق أنوثتها
هناك بيوت كثيرة تقود فيها النساء الرجال
اسألوهن هل هنّ سعيدات
سيخبركن أنن يشتهين رجلاً يمسك زمام الأمور مكانهن
لأنهن يمارسن وظيفة غير التي خُلقن لها
ويلعبن دوراً خارج السيناريو المكتوب باتقان
أحياناً تضطر المرأة أن تسد مكان الرجل
ولكنها تفعل ذلك من باب الاضطرار لا من باب الرغبة
لو كان الأمر إليها ما اختارت أن تلعب دوراً غير ذلك الذي خُلقت له
اسألوا النساء اللواتي يظهرن على أنهن يتصرفن كيف شئن كيف يشعرن
ستخبركن كل واحدة منهن أنها تشتهي رجلا يغار عليها
ستحدثكم أنها تبيع الدنيا لأجل رجل قد يرتكب جريمة إذا حاول أحد أن يمس شعرة من رأسها
ستحدثكم كم تتمنى أن يهديها رجل يحبها هدية رغم أن بامكانها أن تشتري ما تريد
الأشياء البسيطة التي لا تلتفتون لها ثروة في عيون النساء
لأنهن خُلقن أن يسعدن بالقليل
اسألوا النساء عن رجل يضع يده على خصرها ليعبر بها الطريق رغم أنها تعرف أن تعبر وحيدة

اسألوا النساء عن رجل يضع يدها على جبينها يتحسس حرارتها
حين تمرض رغم أن عندها ميزان حرارة
اسألوا النساء عن رجل يهديها وردة رغم أن لديها حديقة
اسألوا النساء عن رجل يخلع معطفه ويلبسها إياه في يوم ماطر رغم
أنها لا تشعر بالبرد
اسألوا امرأة عن رجل يكتب لها أحبك دون مناسبة رغم أن لديها
مئة ديوان شعر
اسألوا امرأة عن رجل يُعدّ لها كوب عصير رغم أن عندها خادمة
هؤلاء الرجال لا يسعدن النساء فقط
هؤلاء يحلقون بهن إلى السماء
لأن الجزء فيه جوع لاهتمام كله فيه
عندما تحررون النساء منكم
أنتم في الحقيقة تقيدوهن
وتحررون أنفسكم من مسؤولياتكم تجاههن
أنتم تتخلون عن فطرتكم
وتدفعوهن ليتخلين عن فطرتهن
ثم تأتون نهاية المطاف تسألونهن لماذا لما تعدن نساءً
والجواب بسيط
لم يعدن نساء كما يجب
لأننا لم نعد رجالاً كما يجب
وكما أن الرجل مطالب بألا يتخلى عن رجولته
فالمرأة مطالبة أن تقاتل لأجل أنوثتها
اتبعي فطرتكِ

تاجري وتذكري أن خديجة على ثرائها عاشت في كنف محمد عليه الصلاة والسلام
تميزي وتذكري أن بلقيس كانت ملكة ولم تجد نفسها إلا في كنف سليمان عليه السلام
لا تنخدعي بالحرية والاستقلال
الأنوثة ليست قيداً إنما فطرة
الفطرة الأجمل في هذا الكون
تخيلي ماذا سيحدث لو تخلى كل مخلوق عن فطرته
تخيلي ما هو شكل هذا الكوكب
إذا حاولت الأسماك أن تطير
وإذا حاولت العصافير أن تسبح
تخيلي العصافير تنهق
والحمير تحاول التغريد
تخيلي الأسود ترعى العشب
والغزلان تصطاد
سيبدو هذا الكوكب غريباً
وأنتِ حين تتخلين عن فطرتكِ
سمكة تحاول أن تطير
وعصفور يحاول أن يسبح

في رحاب الكهف ٣
فتية الكهف

١

القصة كما بقية القَصص القرآني
لا تخرج من حيث الغاية منها عن أحد أمرين :
- الوعظ والارشاد بقصص المؤمنين الناجين
- التخويف والوعيد بقصص الكافرين الهالكين
فالقرآن ليس كتاباً قصصيا يهدف للتسلية والامتاع
وإن كان عنصر التشويق في القصص القرآني يبلغ حداً يحبس الأنفاس أو يكاد
فالقصة في القرآن وسيلة وليست غاية
بغض النظر أن البناء الدرامي لها متين حد الذهول
وحبكتها القصصية متقنة حد العجب
وشخصياتها لم تُقحم في السياق بل كتبته على أسطر الحياة بحبر الواقع
ولا عجب فقد أتقنَ كل شيءٍ صنعا

٢

القصة أشهر من أن أسردها
وأجلُّ من أن أفسرها

وإنما وقعتُ فيها على عبر ارتأيتُ كتابتها
وإني معها كمن وقع في وعاء عسل كبير
لم يكن حظه منه إلا القليل
العبرة الأولى :
اختر صحبتك باتقان
هذا كلبٌ ذُكر في القرآن لأنه اختار صحبة صالحة
لم يكن بريد نبي كهدهد سليمان
ولم يكن واعظ قومه كنملته
ولم يحفظ نبيا كحوت يونس
ولم يرفض هدم الكعبة كفيل أبرهة
لم يكن له إلا الصحبة الصالحة
فالزم أهل الطاعة وإن غلبتك المعصية
فكل امرئ يحث الآخرين على طبعه
ودّ السارق لو كل الرجال سرقوا
وودت الزانية لو كل النساء زنين
.

العبرة الثانية :
لا تبع دينك لأجل أحد
الدين أغلى من الوطن والأهل والقبيلة
عندما لم يعد بالامكان أن يعيشوا بدينهم بين قومهم
حملوا دينهم وارتحلوا به

وتذكر دوماً
لم يترك النبي ﷺ مكة عن بغض لها
وإنما ودعها والدموع في عينيه :
والله إنكِ لأحب بقاع الأرض إليّ ولولا أن أهلكِ أخرجوني ما خرجت
ولم يتبرأ من عمه عن قطيعة رحم
ولم يُقاتل قريشاً عن عقوق
إنما ترك وطنه وتبرأ من عمه وقاتل قبيلته
لأجل هذا الدين

.

العبرة الثالثة :
عندما ضاقت عليهم المدينة
حنّت عليهم الجبال!
إنها القصة القديمة ذاتها تتكرر
فتية الكهف
والراهب في قصة أصحاب الأخدود
والنبي في الهجرة
عندما تقسو قلوب الرجال
يلين الله لهذا الدين قلوب الجبال
عجيب قلب ابن آدم
كيف إذا خامره الإيمان صار ألين من حرير
وكيف إذا خامره الكفر صار أيبس من صخر

.

.

العبرة الرابعة :

كان فتية الكهف على دين عيسى عليه السلام

يحدثنا الله عنهم كأنهم منا ونحن منهم

ذلك أن الإسلام لم يبدأ بمحمد ﷺ

محمد جاء ليكمله

كانت تختلف الشرائع

وتتسع دائرة المسموح والممنوع أو تضيق بحسب ما يقضيه الله بعمله

ولكن أصل العقيدة واحد

إسلام آدم هو إسلام محمد

قضيتنا طاعنة في الزمن

إنها القضية الأقدم في تاريخ البشرية

القضية الأجمل والأحلى والأنقى

قضية إعادة البشرية إلى جادة الصواب المؤدية إلى الله

.

.

العبرة الخامسة

نام فتية الكهف ثلاثمئة وتسع سنوات

وقاموا يحسبون أنهم ناموا يوما أو بعض يوم

ناموا بهيئة وقاموا من نومهم عليها

وكل ما جاء أنهم قاموا مخيفين شعورهم طويلة وأظافرهم أطول من

أيديهم لا يصح نصاً ولا عقلاً
ذاك أن من أدخل هذه الخرافات ظنّ أن بقاءهم على قيد الحياة
يقتضي بالضرورة أن يبقوا في حالة نمو مستمر
ناسياً أن الأسباب تجري على الناس ولا تجري على الله
والمعجزات أصلاً خرق للقانون الذي وضعه سبحانه لهذا الكون
وإلا لم تكن معجزات أصلاً
من شق البحر لموسى بعصا
وأخرج لصالح ناقة من صخرة
وجعل نار إبراهيم برداً وسلاما
وبطن حوت يونس مأوى
لا يعجزه أن يوقف نمو نائم

بما رأيتُ أم بما سمعتُ

دخل مُقاتل بن سليمان على المنصور يوم بُويعَ بالخلافة
فقال له المنصور : عِظني يا مُقاتل!
فقال : أعظُك بما رأيتُ أم بما سمعتُ يا أمير المؤمنين!
فقال المنصور : بل بما رأيتَ
فقال مُقاتل : يا أمير المؤمنين إن عمر بن عبد العزيز أنجب أحد عشر ولداً
وترك ثمانية عشر ديناراً
كُفّنَ بخمسة دنانير
واشتُريَ له قبر بأربعة دنانير
وَوزّع الباقي على أبنائه
وهشام بن عبدالملك أنجب أحد عشر ولداً
ولما اقتسموا تركته قسموا بعض الذهب بين الورثة بالفؤوس
والله يا أمير المؤمنين :
لقد رأيتُ في يوم واحد أحد أبناء عمر بن عبد العزيز يتصدق بمئة فرس للجهاد في سبيل الله
وأحد أبناء هشام يتسول في الأسواق

.

العبرة الأولى :
يحفظ الله الأبناء بصلاح الآباء
فهذا عمر ابن عبد العزيز

أموال الدنيا بين يديه فلا يأخذ أكثر من راتبه
ولم يكن راتبه يكفي عاملاً بسيطا فضلا أن يكفي خليفة
ويوم قسم أموال بيت المال غسله بالماء والطيب
وصلى فيه ركعتين شكرا لله أن أخرج مال الناس للناس
فمات تاركاً أولاداً فقراء
فأغناهم الله
وهذا موسى وصاحبه الخضر
يُقيمان جداراً ليتيمين
نبي من أولي العزم
وعبد صالح فاق علمه علم نبي
يقيمان جدار يتيمين
لسبب واحد ﴿وكان أبوهما صالحا﴾
ويقول الله :
﴿وليخشَ الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا﴾
إنه تأمين حلال على الحياة في بنك التقوى

.

.

العبرة الثالثة :
هناك شيء اسمه البَركة
حين يطرحه الله في شيء يكفي قبيلة
وحين ينزعه من شيء لا يكفي الواحد
إننا نسمع كل يوم عن تاجر أفلس

ولكننا لا نسمع كل يوم عن فقير مات من الجوع
الغنى الذي تنقصه البركة فقر آخر
والفقر الذي تزينه البركة غنى آخر
المال الذي يُجمع من حرام على مدار سنوات
يستطيع الله أن يجعلك تدفعه في يوم واحد
لهذا لا تبحث عن الكمية
بل عن النوعية
إذا كان الحلال سيذهب
فالحرام سيذهب وأهله
وتذكروا دوماً
ليس للأكفان جيوب
كل ما جمعته من حلال وحرام ستتركه خلفك
يستمتع به من بعدك
وتُحاسب عليه وحدك
وأيما لحم نبت من حرام فالنار أولى به

.

العبرة الرابعة :
الأولاد العظماء لا يولدون كذلك
إنما يُصنعون في البيوت
صحيح أن التميز هبة من الله
ولكن التربية هي التي تصقل الموهبة وتشحذها
فتجعل الانسان متقداً لتحيّن الفرص
من تربى على شيء عاش عليه

والتربية ليست بالموعظة بقدر ما هي بالقدوة
صدقة في كف فقير أمام ابنك تعدل ألف محاضرة عن الصدقة
وورقة تلقيها في سلة المهملات أمام ابنتك أبلغ من خطبة عصماء عن النظافة

هكذا تفعل الدنيا بطُلابها

يُروى أن عيسى ابن مريم عليه السلام
كان يسير برفقة يهودي
وكان معهما ثلاثة أرغفة زاداً للطريق
فلما بلغ منهما الجوع مبلغه
اختار عيسى عليه السلام شجرة وارفة
وطلب من اليهودي أن يجهز الزاد ريثما يعود من بعض حاجته
وهو آت من بعيد رآه يأكل رغيفاً
فلما وصل إليه ورآهما رغيفن قال له :
أين الرغيف الثالث؟
فقال اليهودي : والله ما كانا إلا رغيفين
فأكل عيسى عليه السلام رغيفا وناول اليهودي رغيفا
ثم قال له : قم معي
فمرا على رجل أعمى فوضع عيسى عليه السلام يده على عينيه ودعا الله فبرئ باذن الله
ثم التفت إلى اليهودي وقال له : بحق من رد على هذا بصره أين الرغيف الثالث
فقال : والله ما كانا إلا رغيفين
فسارا حتى وصلا نهراً فأرادا عبوره فارتجف اليهودي وقال : نغرق
فأخذ عيسى عليه السلام بيده ودعا الله ومشيا على الماء
ولما وصلا إلى الضفة الأخرى قال له عيسى عليه السلام :
بحق من أمشاك على الماء ولم تبتل قدماك أين الرغيف الثالث؟

فقال : والله ما كانا إلا رغيفين

عندها جمع عيسى عليه السلام ثلاث أكوام تراب ثم دعا الله فصارت ذهبا

ثم قال : هذه الكومة لي لأني أكلتُ رغيفا

وهذه لك لأنك أكلتَ رغيفا

وهذه لصاحب الرغيف الثالث

فقال اليهودي : انا أكلتُ الرغيف الثالث

فقال له عيسى عليه السلام : كلها لك ولا تصحبني بعد يومك هذا وتركه ومضى

بعد قليل حضر ثلاثة لصوص فوجدوا معه الذهب فقتلوه

ثم جلسوا يستريحون

فقال أحدهما لصاحبه : ما رأيك لو قتلناه وازداد كل منا نصف كومة

فاستحسن رأيه

وأرسلا صاحبهما ليأتي لهم بطعام

مضى اللص الثالث محدثا نفسه أن يدس السم لهما ويستأثر بالذهب وحده

فور عودته انقضا عليه وقتلا

ثم قالا : نأكل ونقتسم

وأكلا فماتا من فورهما

بعد فترة مر عيسى عليه عليه السلام وإذا بأربع جثث والذهب مكانه

فقال للحواريين : هكذا تفعل الدنيا بطلابها!

.

الدرس الأول :
اليهود لا يتغيرون
أرسل الله لهم موسى ليخلصهم من الذل
وشق لهم البحر
ولما عبروا ورأوا أناسا يعبدون الأصنام
قالوا له : ﴿اجعل لنا الها كما لهم آلهة﴾
ثم لما ذهب لميقات ربه صنع لهم السامري عجلا من ذهب فعبدوه
لهذا قال يهودي لعليّ ابن ابي طالب :
ما شأنكم لم تلبثوا بعد نبيكم سنوات حتى تقاتلتم
فقال له : ما شأنكم لم تجف أقدامكم من عبور البحر حتى قلتم
لنبيكم : ﴿اجعل لنا الها كما لهم آلهة﴾
أبرأ أمامه الأعمى
وأمشاه على الماء
وما زال يقسم بالله كذباً في رغيف

الدرس الثاني :
إذا حلفتَ فاحلف بالله
وإذا حلفتَ بالله فاصدق
.

الله أعظم من أن يحتال باسمه تاجر لينفق سلعته
وأعظم من أن يحتال باسمه عامل لينجو من غضب رب عمله

.

.

الدرس الثالث :

الطيور على أشكالها تقع
عندما رأي عيسى عليه السلام اليهودي من أهل الدنيا تركها له
وكأنه يقول : من كانت الدنيا في قلبه لا يصحب رجلاً الآخرة في قلبه
وانظر للصوص
الاثنان يمكران بالواحد
والواحد يمكر بالاثنين

.

.

الدرس الرابع :

إذا كنتم ستأخذون الدنيا معكم فتقاتلوا عليها
وإذا كنتم ستتركونها خلفكم فحماقة أن يتقاتل المرء على شيء لن يأخذه مع وإن حصل عليه
ليس لنا من هذه الدنيا إلا ما خبأناه للآخرة
علبة دواء لمرض
لقمة لجائع

حجر في مسجد يُبنى
كفارة صيام عن عجوز
هذا ما يبقى
ما عداه إرث
يستمتع به الآخرون ونُسأل عنه وحدنا

.

.

الدرس الخامس :
انظر لحُلم الأنبياء
عيسى يصحبه من مكان إلى مكان ليعيده إلى الله فيأبى
نوح يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاما
سرا وجهراً ليلا ونهارا زرافات ووِحداناً
ابراهيم يطرده أبوه فيستغفر له
يوسف يُلقى في الجب والسجن فيعفو
سيد الناس يُرجم في الطائف فيُسمح له أن يطلب من ملك الجبال
أن يطبق عليهم الأخشبين فيرفض
متوسماً أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله
يُتهم بالكذب والسحر والجنون
يُحاصر في الشِعب ثلاث سنوات
يُتآمر لقتله
يًطرد من قريته
ثم لما دخلها ووقف على أهلها قال لهم :
اذهبوا فأنتم الطلقاء

أسباب النصر والهزيمة

جاء رسول سعد بن أبي وقاص
ليبشر عمر بن الخطاب بالنصر في القادسية
فسجد عمر شكراً ولما رفع رأسه سأل الرسول :
متى بدأ القتال؟
فقال : قبل الضحى
قال : ومتى كان النصر؟
فقال : قبل المغرب
فبكى عمر حتى ابتلت لحيته
فقالوا : يا أمير المؤمنين نبشرك بالنصر فتبكي؟
فقال : والله إن الباطل لا يصمد أمام الحق مثل هذا
ولعله بذنب أذنبته أنا أو أنتم!
ثم أردف قائلا :
نحن أمة لا تنتصر بالعدة والعتاد ولكن ننتصر بقلة ذنوبنا وكثرة ذنوب أعدائنا
فإذا تساوينا بالذنوب كانت الغلبة للعدة والعتاد!

.

الدرس الأول :
كان إذا سلك فجاً سلك الشيطان غيره
وإذا تعثّرتْ دابة في شاطئ الفرات يخشى أن يسأله الله عنها :

لمَ لمْ تصلح لها الطريق يا عمر
يجد في بيته حلوى فيسأل زوجته :
أنّا لنا هذا؟
فتجيبه : من ربع درهم كنت أدخره؟
فقال لها : إذا يمكن أن نعيش دون هذا الربع!
واقتطعه من راتبه!
يأتي بيت المقدس ماشياً وغلامه راكب وفي ثوبه سبع عشرة رقعة
ثم يقول : لعله بذنب أذنبته أنا!
ونحن لو صلى أحدنا صلاتين في المسجد في يوم لمشى ضامناً الجنة
ولو وضع ثمن رغيف في يد فقير فكأنه جهّز جيش العسرة
هذه أشياء جميلة
ولكن الفكرة أن نستقل طاعاتنا مهما كثُرتْ
ونستعظم ذنوبنا مهما قلّتْ

.

الدرس الثاني :
القائد يلقي اللوم على نفسه أولا
هزائم الحروب هي هزائم الجنرالات لا الجنود
وفشل الشركات هي فشل الإدارة لا فشل الموظفين
أسوأ القادة من يستأثر بالنجاح وحده إن حصل
ويلقي اللوم في الفشل علي غيره إن حصل

«تلك إذا قسمة ضيزى»
أكثر ما يزعجني أولئك الآباء الذين لم يسافروا لسنوات بعيدا عن أولادهم
ولم يُسجنوا
ولم يمرضوا ويضعفوا
ثم يقولون لزوجاتهم عند أخطاء الأبناء :
أنتِ لم تربي أولادك
صحيح أن الزوجة مسؤولة في الأمر
ولكن يحضرني مثل جدتي :
«الثلم الأعوج من الثور الكبير»
.

الدرس الثالث :
الباطل هشّ إذا كان الحق حقاً
فالباطل طغى أكثر مما يجب
لأن أهل الحق ليسوا كما يجب
كلما خفتَ ضوء الشمعة اتسعت رقعة العتمة
وكلما زاد ضوؤها كلما انحسرت الظلمة
والحق والباطل كذلك
ليس شرطا أن نحمل سيفاً ونقاتل في صف الباطل لنكون من أعوانه
يكفي أن نترك حقنا لنكون كذلك!

الدرس الرابع :
نحن نداوي مرضانا بالصدقة
ونستنزل الرزق بالاستغفار
وننتصر بالطاعة
كان الأوائل يحملون السيوف ولا يرونها إلا أسباباً
كان دوما يقينهم على الله
المعركة الوحيدة التي كانوا فيها أكثر عدداً
هي حُنين وقد هزموا أولها
لأنهم قالوا : لن نُهزم اليوم قلة
إذا صار يقين الإنسان على الأشياء خلى الله بينه وبينها
النصر والهزيمة عندنا لها حسابات أخرى
المعارك تُحسم بالطاعات وما السيوف إلا أسباب
لهذا عندما مر صلاح الدين ليلة معركة حطين بخيمة يتسامر جنوده فيها ويضحكون
قال : من هنا تأتي الهزيمة
ومر بخيمة أخرى فوجدهم يقومون الليل
فقال : من هنا يأتي النصر
فتعالوا نقاتل بالطاعة مع أولئك الذين يقاتلون في المعارك
تعالوا نكون جديرين بتضحياتهم
ما أجمل توبة لأجل أمة

ذنب صغير تأتيه دعه

وقل له : يا الله تركته كيلا يُهزم الإسلام بسببه

وطاعة كنت قد تركتها

عُد إليها

وقل له : يا الله قد عدتُ فاجعلها ثباتا لمجاهد

وكلمة حق لبطانة

وفكا لسجن مظلوم

وعدلاً لقاضٍ

العقل زينة

١

يقول على عزت بيغوفيتش في كتابه الأشهر والأمتع «الإسلام بين الشرق والغرب» :

إن كثرة القوانين في مجتمع ما وتشعبها والتعقيدات التشريعية

علامة مؤكدة على وجود شيء فاسد في هذا المجتمع

وفي هذا دعوة للتوقف عن إصدار مزيد من القوانين

والبدء في تعليم الناس وتربيتهم!

.

بيغوفيتش ليس ضد أن تحكم المجتمع قوانين

فلم يقم مجتمع بشري إلا وكان له ضوابط

وجملة مسموحات وممنوعات

بغض النظر عن مدى ارتباطها بالمنطق

ولكنه ينادي بما يمكن تسميته الانضباط الذاتي

انضباط يجعل الانسان لا يفعل الخطأ لأنه ضد قيمه الأخلاقية ومبادئه

لا لأنه شيء يُعاقب عليه القانون!

وهذا بالضبط ما فعله الإسلام

فالإسلام ربّى على العفة ثم جعل للزنا عقوبة

وربّى على الأمانة قبل أن يجعل حد السرقة القطع

لهذا تجد غالبية المسلمين لا يسرقون ولا يزنون ولا يشربون رغم أن

الحدود لم تعد تطبق
ورغم أن بعضهم يعيش في بلدان الزنى أو شرب فيها مباح قانونا
إنه التزام بقانون أسمى هو الدين والأخلاق والقيم التي يؤمن بها الفرد

.

٢

في هذا العالم قوانين تجعلني سعيداً أن الأرض هي الكوكب الوحيد المأهول
كم كان سيبدو موقفنا محرجاً لو اطلع سكان كوكب آخر على قوانيننا
فمثلا في ولاية ويسكونسن في أمريكا يستطيع الإنسان أن يتزوج منزله!
لنفترض أنك في لحظة رومانسية ضعفت أمام منزلك وأردت أن تتزوجه
تأخذ أمك وأباك إلى البناية ويقولون لها :
إن ابننا يريد أن يكمل نصف دينه
وإننا سألنا عن بنتك الشقة ولله الحمد سمعتها طيبة
ليس لها علاقات مشبوهة بشقق أخرى
لهذا نطلب يدك ابنتكم الشقة لابننا اللوح على سنة الله ورسوله
الغريب أن هذه الولاية تمنع زواج الأقارب
يعني ممنوع قانونا أن تتزوج ابنة عمك مثلا

بينما مسموح أن تتزوج شقتك
وكما تقول جدتي : العقل زينة

.

٣
في بريطانيا تستطيع الحامل أن تضع مولودها بأي مكان شاءت
ولها أن تطلب من الشرطي أن يخلع قبعته لتلد فيها
هذا حق يكفله القانون
تخيل أنك ذات صباح كئيب
تنهض إلى عملك أو جامعتك كأنما يُساقون إلى الموت
وبعد أن تتغلب على نفسك
تمضي متوكلا على الله حاملاً حقيبتك
وإذ بامرأة أرجأها المخاض إلى اشارة مرورية
تطلب منك حقيبتك لتلد فيها
عليك أن تكون مواطنا صالحاً
وتناولها الحقيبة
لا لأن هذا حقها القانوني
بل لأن العقل زينة

٤

في الهند لا تستطيع قتل فأر إلا بعد طلب إذن من الحكومة
في ذات صباح أكثر كآبة من الصباح الأول تصرخ زوجتك
فتهرع إليها وأنت تظن أن أسداً قد ضل الطريق إلى بيتك
فإذا به فأر
ماذا عليك أن تفعل
تقتله وتستر على نفسك قبل أن يلتم على صوتها سكان الحي
إياك هذا ضد القانون
تنظر للفأر وتقول له :
أتظن أن هذا البلد غابة لا يوجد فيها قانون
انتظر مكانك أيها الكائن الصغير
تدخل غرفتك وتلبس ثيابك
وتذهب إلى دائرة حكومية مختصة
تشرع لهم الأمر
يعطونك استمارة لتملأها
الاستمارة طويلة
كم بلغ صوت زوجتك على مقياس ريختر
ما لون الفأر
كم عمره
وزنه
هل لديه أولاد
ما الوسيلة التي تقرر قتله بها
ثم يجتمعون ويرون أن طلبك قانوني

يعطوك إذنا
تأخذ ورقة الإذن وتعود سريعا لتقتله لا لأن هذا واجبك
بل لأن العقل زينة

.

٥

في أريزونا ممنوع أكل العشب في الأماكن التي ترعى فيها الأغنام والأبقار
تخرج أنت وزوجتك وأولادك في نزهة عائلية
يستمتع الأولاد بمنظر الحيوانات ترعى
وتستمتع أنت بزوجتك تنتف ريش أمك وأخواتك
ثم تفقد شهيتك عن طعامها فتقرر أن ترعى
إياك
عليك أن تبحث عن مرعى آخر لا ترعى فيه الأغنام
فقطع الأرزاق من قطع الأعناق
ومن العيب مزاحمة المخلوقات في أرزاقها
ولكنك في لحظة عقل
تقرر أن لا تضحي بهذه النزهة الجميلة
لأجل رغباتك الشخصية الدنيئة المتمثلة بالرعي
وهذا تصرف مسؤول وعمل عقلاني يُحسب لك
لأن العقل زينة

.

٦

في ايداهو ممنوع أن لا تتبسم في الأماكن العامة
عليك أن تخرج تخرج للشارع متبسما
فتبسمك في وجه الايداهونيين فرض وليس صدقة
حالتك النفسية شيء يخصك وحدك
أما الحياة العامة فلها آدابها
نفذ مرتبك في منتصف الشهر تبسم
تشاجرت مع زوجتك صباحاً عانق الناس في الطرقات
أخطأت في عملك فمسح بك المدير الأرض لا يهم
في طريق عودتك صافح كل ايداهاوي تلقاه في الطريق
من العقل أن تلتزم بالقانون
والعقل زينة

العقل زينة ٢

١

وصلاً لما انقطع

تحدثنا أمس عن قوانين بشرية عجيبة

وأمس هذه الكلمة الوحيدة في العربية التي إذا

عُرّفت نُكّرت

وإذا نُكّرت عُرّفت

فلو قلتَ : رأيته أمس فهذا يدل على البارحة أي زمن ماضٍ معلوم

وإذا قلتَ : رأيته بالأمس دل على زمن ماضٍ مجهول

٢

ووصلا لما انقطع قبل قليل

يُمنع في إيران استخدام الإنترنت عالي السرعة

لأنه يساعد على جلب المفاسد!

وهذا كلام صحيح

فالانترنت البطيء يجعل لسان الإنسان لاهجاً بذكر الله

تفتح صفحة الانترنت وتجلس أمام الشاشة تنتظر

فتقول : لا حول ولا قوة إلا بالله

ثم تُفتح الصفحة بعد انتظار

تختار شيئا في الصفحة وتضغط عليه وتنتظر

وتبدأ بالعبادة

اللهم طولك يا روح

حسبي الله ونعم الوكيل
أستغفر الله العظيم وأتوب إليه
وهكذا بعد قراءة أول موضوع تكون قد استغفرت وسبّحت وتبت إلى الله
بينما لو لم يكن الانترنت كالسلحفاة
وكان يقفز من صفحة لأخرى كالغزال
فإن سرعة حصولك على المواضيع
ستشغلك عن ذكر الله!

.

٣
في الدانمارك يجب أن توفر لكل ولد من أولادك غرفة
هذا القانون يملأني رغبة في اللطم
نحن في البيت عشرة
وبيتنا عبارة عن أربع غرف
كنتُ دوما أحلم بتجربة شيء أراه في الأفلام
جالس في غرفتي وحدي
يطرق أحدهم الباب
فأتجبد وأتمطمط ثم آخذ وضعية البريء
وأقول : تفضل!
عندنا يقتحمون الغرف كأنهم يُداهمون غرزة حشيش
يريدون أن يمسكوك متلبسا
وإذا أردتُ أن أغير ثيابي

كنتُ أقف وراء الباب مباشرة خوفاً من اقتحام شرطة الآداب للغرفة
تعرفون ذاك المشهد الذي نراه في الأفلام
والشرطة تجر الرجال والنساء إلى البوكس وهم ملفوفين بالبطانيات
هذا ما كنتُ أخشاه

.

٤

في لوس انجلوس
من غير القانوني أن يضرب الرجل زوجته
بحزام عرضه أكثر من ٢ انش إلا بموافقتها
بغض النظر عن رأيي بمن يضرب زوجته
وقبل أن تُثار حفيظة المتدينين السطحين ويقولون أن الضرب فيه نص قرآني
فيجب أن يعلم هؤلاء أن النبي ﷺ
كان يضرب بالسواك
وهذا فيه من الملاطفة أكثر مما فيه من العقاب!
وكان جدي رحمه الله يستخدم عصا المكنسة البالغة مترين
فقد كان مجتهدا وأخذ القصة بالقياس
وكله عصي وأصله خشب!
لهذا إذا كنتَ في لوس أنجلوس
عليكَ أن تشتري كل أحزمتك بقياس أقل من ٢ انش
وإذا جاءك حزام عرضه أكبر من ٢ انش
يمكنك أن تستخدمه لرفع سراويلك

.

ولكن إياك أن ترفعه بوجه زوجتك
عليك إذا رفعت لك ضغطك
وكنت من الأسود الذين لا يعرفون إلا الزئير
فعليك أن تقول لها :
حبيبتي هذا الحزام أعرض من ٢ انش
ولست في مزاج يسمح بالبحث عن حزام حسب المواصفات القانونية
فهل تسمحين لي باستخدامه
العقل زينة!

٥

في المكسيك تُسجن إذا دخلتَ منزلا يحترق
ولو كان بداخله أشخاص تريد انقاذهم
قد يكون هذا القانون في ظاهره هدفه ضمان سلامة الناس
ولكن في باطنه يريد أن يقتل المروءة بين الناس
تماماً كقانون السير عندنا
إذا رأيتَ إنساناً مقلى على قارعة الطريق
قد صدمته سيارة هرب صاحبها
ثم نزلت وأخذته لأقرب مستشفى ومات في الطريق
لن يصدقك أحد أنك لم تدهسه
يريدون أن يقتلوا المروءة في الناس
على النار أن تلتهم بيت جارك

وتسمع أطفاله يصرخون وهم يُشوون
وتقف تتفرج عليهم كي لا يُلقى بك في السجن
عليك أن ترى إنساناً مُلقى على الأرض ينزف
وتتظاهر أنك لم تره
القوانين التي تجرد الإنسان من إنسانيته
ليست قوانين بقدر ما هي أصنام تُعبد
تماماً كأصنام العرب في الجاهلية
حتى لو علم العربي أنها لا تضر ولا تنفع
كان يعبدها لأن الكل يفعلون
وإذا رفض أن يفعل سيتهمونه أنه قد صبأ
القوانين وُجدت لخدمة الناس
ولم يُخلق الناس لخدمة القوانين
حتى حين تبدو القوانين قاسية بحق فرد
فإنها رحمة بحق المجتمع
والإسلام بالذات أكثر الأنظمة حفاظاً على المجتمع
بعض العقوبات في الإسلام حتى تهتدف للحفاظ على الجاني نفسه
فجلد شارب الخمر مثلا هو قول صريح له :
ممنوع أن تُغيّب عقلك
وهناك عقوبات تقع على الفرد من باب التضحية بالجزء للحفاظ على الكل
تضحية بالفرد نتيجة ما اقترف حفاظاً على المجتمع
الرجم للحفاظ على أعراض الناس

والقطع للحفاظ على أموالهم
ومن رحمة الله أنه حتى حين يُعاقب يرحم
فالحدود كفارة
وجزاء في الدنيا للاعتقاق من جزاء الآخرة
فنحن أمة نؤمن أن الحياة الحقيقية ليست على هذا الكوكب
هذا الكوكب ليس إلا محطة والحياة قطار
يركبه ناس ويترجل منه آخرون
ومن ترجل فقد بدأت حياته إما نعيم وإما عذاب
وحين رجم الصحابة زانية وأصاب خالداً شيءٌ من دمها فشتمها
فقال له النبي ﷺ :
«يا خالد لقد تابت توبة لو قُسمت على أهل المدينة لكفتهم»

وقفات في الحياة الزوجية

عن النعمان بن بشير قال :
استأذن أبو بكر رضي الله عنه
على النبي ﷺ
فإذا عائشة ترفع صوتها عليه
فقال : يا بنت فلانة ترفعين صوتك على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحال النبي ﷺ بينه وبينها
ثم خرج أبو بكر فجعل النبي صلى الله عليه يرضاها
وقال : ألم تريني حلت بين الرجل وبينك
ثم استأذن أبو بكر مرة أخرى فسمع تضاحكهما
فقال أشركاني في سلمكما كما أشركتماني في حربكما

.

.

الوقفة الأولى :
المرأة مجموعة شخصيات في إنسان واحد
والرجل كذلك!
كل منا يرى أمه المرأة الأجمل والأعظم فيه هذه الحياة
لأنه خبِرها وهي في أجمل شخصيات المرأة ألا وهي الأم
وكل بنت ترى أباها الرجل الأعظم في هذه الحياة
ذلك أنها خبِرته في أجمل شخصيات الرجل ألا وهو الأب

ما تصبر عليه المرأة من زوجها غير ما تصبر عليه من ابنها وأبيها وأخيها
وما يصبر عليه الرجل من زوجته هو غير ما يصبر عليه الرجل من ابنته وأمه وأخته
لو كانت الزوجة محكومة بالأمومة مؤبدا
والزوج محكوم بالأبوة مؤبدا
لما رأينا بيتا واحداً فيه مشاكل
ولكننا مخلوقات مركبة بطريقة نفسية غريبة
تكاد تصل حد الانفصام!
لهذا تجدنا ننتقل من شخصية لأخرى برشاقة!
الأم هذا الكائن الملاك بالنسبة لك
هي بنفس الوقت زوجة وتفعل معه كل ما يزعجك من زوجتك
والأب الرجل الملائكي في عينيكِ
هو بنفس الوقت زوج يفعل معها ما يزعجكِ من زوجكِ

.

الوقفة الثانية :
الزوجة هي الزوجة تلك الشخصية كثيرة الشكوى!
والزوج هو الزوج ذاك الشخصية قليلة الرضى!
فلا يوجد مسلمة مثلا تتخيل أن بامكانها أن ترفع صوتها بوجه النبي
وهذا شيء صحيح لأنها ليست زوجته
ولو قدّر الله لها أن تكون ما تلبث أن تفعل

لأن ذاك طبع

وممارسة شخصية الزوجة له أدبيات

تفعله كل الزوجات وإن بنسب متفاوتة

ولا يتخيل مسلم مثلاً أن يسخط على آسيا أو مريم بنت عمران

وهذا صحيح لأن الله لم يُقدّر أن تكون احداهما زوجته

ولو قدر سبحانه هذا فلن يرضى

ذلك أن قلة الرضى طبع في الأزواج

وإن بنسب متفاوتة

والشيء بالشيء يُذكر

جاء رجل إلى عمر رضي الله عنه

يريد أن يشكو له رفع زوجته صوتها عليه

فما كاد يطرق الباب حتى سمع أم كلثوم بنت عليّ وقد رفعت صوتها

وعمر يهم بالخروج فوجد الرجل بالباب

فقال ما جاء بك؟

قال يا أمير المؤمنين جئتك شاكيا فوجدتك تشكو مما منه أشكو

.

.

الوقفة الثالثة :

على الزوج أن يفهم أن طبع الزوجة أن تكون متبرمة

وَ«النق» غدة أنثوية كامنة تبدأ بافراز عصارتها في جسد المرأة

فور انتقالها من طور العزوبة إلى طور الزواج

وهنا يأتي دور الرجل

الكثير من الأمور تحتاج إلى الكثير من التجاهل
شرط أن لا تصل الأمور لدرجة الاهانات
وهذا ليس ضعفا
بالعكس هو ممارسة الرجولة في أبهى صورها
فأنت قوام لتقيم الأشياء لا لتكسرها
وعلى المرأة أن تفهم أن الزوج قليل الرضى
وأناني بفطرته
يحب أن تكون زوجته له وحده
أن يستأثر بالقسم الأكبر من اهتمامها ورعايتها
تعرفين الأولاد متقاربي العمر كيف يغارون من بعضهم
ومهما حاولت أن تساوي بينهم سيعتقد أحدهم أنه مظلوم
الزوج هو ذاك الشخص المظلوم!
وهذا طبع
تُضيء الزوجة أصابعها العشر شمعاً فلا يرضى كل الرضا
وتعد له ابنته كوب شاي فيقضي نهاره يدعو لها
ذاك أننا كائنات بشرية مركبة بطريقة نفسية عجيبة
علينا أن نلتفت لها ونحاول ضبطها

.

.

الوقفة الرابعة :
لا تدخل بين زوج وزوجته إلا لصلح
لا يوجد زوج إلا ووصلت معه الأمور أحيانا ورأى نهاية علاقته الزوجية

ولا توجد زوجة إلا ورأت هذا
ثم بعد قليل من الوقت ترجع المياه
إلى مجاريها عذبة صافية
بين أختك وزوجها أصلح
بين أمك وأبيك أصلح
بين بنتك وزوجها أصلح
بين ابنكِ وزوجته أصلحي
بين ابنتك وزوجها أصلحي
لأن الزوجين ينسيان كل ما اقترفاه بحق بعضهما وقت الخلاف
ولكن لا ينسيان مواقف الآخرين أثناء الخلاف

•

الوقفة الخامسة :
الخلافات الزوجية تحتاج إلى عقل أكثر منها إلى عاطفة
كان جدي رحمه الله يقول لبناته بعد زواجهن :
هذا البيت لكُنّ بإمكان احداكنّ أن تجلس فيه سنة ضيفة
ولكني لا أستقبل يوما واحدة تشاجرت مع زوجها
تخيلوا مثلا لو قال لهن :
من أزعجها زوجها فلتترك بيتها وتأتي إليّ
من منهن كانت لتبقى في بيت زوجها!
للأسف المشاكل الزوجية تتفاقم بسبب الأهل
أهل الزوج وأهل الزوجة على السواء
ذلك أن الزوجة تجد من يقوي شيطانها عليها لا من يقمعه

والزوج يجد هذا أيضاً

مع أن الأصل أن تبقى مشاكل البيت في البيت

لأن البيوت أسرار أولاً ولو على الأهل

ولأن المشاكل لا تكبر إلا حين تخرج من البيت ثانياً

ولأنه ليس من البر أن يرهق كلاهما أبويه بمشاكله المؤقتة ثالثاً

عن العفة والشرف

صعد أحد الملوك على سطح قصره يوماً
فنظر في البيوت التي تجاوره
فرأى جارية تنشر غسيلها فأعجب بها
فنزل وسأل عنها فقيل له :
إنها زوجة غلامك فيروز!
فبعث إلى غلامه وطلب منه أن يأخذ كتابا ويذهب به إلى أحد الملوك ولا يرجع حتى يأتي بالجواب
فأخذ فيروز الكتاب ثم عاد إلى بيته
وفي الصباح فيروز من بيته متجها إلى الملك لايصال الرسالة
وما كاد يخرج من البيت حتى ذهب الملك إلى بيته وطرق الباب
فقالت المرأة . . : من بالباب؟
قال : أنا الملك سيد زوجك
قالت : وما تريد؟
قال ويحك أنا الملك
قالت : يا مولاي قد قال القائل قبلنا
سأتركُ ماءَكم من غير وِردٍ
وذاك لكثرة الوَرادِ فيه
إذا سقط الذبابُ على طعامٍ
رفعتُ يدي ونفسي تشتهيه
وتجتنبُ الأسُودُ ورودَ ماءٍ
إذا كان الكلابُ ولغْنَ فيه

ويرتجعُ الكريمُ خميصَ بطنٍ
ولا يرضى مُساهمة السفيه
وألم تسمع قول القائل :
قُلْ لمن شفّه الغرامُ بنا
وصاحبُ الغدرِ منا غيرُ مصحوب
والله ما قالَ قائلٌ أبداً :
أكلَ الليثُ يوماً فضلة الذيبِ

.

فلما سمعَ الملكُ هذا قفل راجعا يجر أذيال الخيبة!
وبينما هو خارجٍ إذ صادف غلامه فيروز عائداً إلى بيته
لأنه نسي شيئاً فرجعه ليحضره
فأخذ فيروز حاجته دون أن يتكلم مع زوجته
وذهب لوجهته وأوصل الكتاب وجاء بالجواب فأكرمه الملك
فعاد لبيته وقال لزوجته : خذي هذا المال والحقي بأهلك
قالت : ولمَ؟
قال : لأن الملك أكرمنا وأحببتُ أن يرى أهلك فضل الملك علينا
فذهبت لأهلها وطالت إقامتها عندهم ولم يسأل فيروز عنها
ولم يذهب ليحضرها
فجاءه أخوها وقال : يا فيروز إما أن تأخذ زوجتك أو نقاضيك
قال : إنه شئتم القضاء فافعلوا
فذهبوا إلى القاضي وهو في مجلس الملك
فقال أخُ الزوجة :
يا مولاي قد أعطيناه بستاناً جميلَ الأشجارِ

طيب الثمار . . . شديد الأسوار
فيه بئر ماؤه عذب
فأعاد البستان وقد استهلك الثمار وكسر الأشجار وخرب البئر وهدم الأسوار
فقال فيروز : والله لقد أعدته أحسن مما كان
قال أخوها : فاسأله لِمَ أعاد البستان؟
قال فيروز : يا مولاي قد دخلتُ البستان يوما فوجدت فيه (أثراً) لأسد فخشيتُ أن يفترسني فتركته كرامة له
وكان الملك متكئا فجلس
فقال : يا فيروز ارجع إلى بستانك فوالله ما رأيت أشد من أسواره على أشجاره
وإن الأسد قد دخل ولم يأخذ ثمراً ولا ماء ولا ورقاً
فأرجع فيروز زوجته
والقاضي والحاضرون يظنون أنه موضوع بستانٍ وشجرٍ وأسدٍ

الدرس الأول :
كانت العرب تُكثر من تسمية أولادها ب
ليث وورد وغضفنفر
وكلها أسماء للأسد
وأكثر ما أعجب العرب في الأسد أنه قوي وأنه لا يأكل فريسة غيره
الأسود إما أن تصطاد أو تجوع
الضباع هي التي تنهش لحماً لم تتكلف عناء احضاره

بينما الأسود لا تأكل طرائد غيرها ولو فُرشت الأرض طرائد
عجيب كيف صارت الحيوانات هذه الأيام
تملك شهامة أكثر مما يملك بعض البشر
وإن كانت ضباع الغاب تأكل طرائد ميتة
فضباع المدن يفترسون طرائد الآخرين حية

.

.

الدرس الثاني :
الذي يقضي مع امرأة عمرا ثم لا يمكنه أن يعرف ما يمكن أن تفعل
وما لا يمكن أن تفعل
هو غبي مع مرتبة الشرف
ثمة نساء من العيب أن يساورنا الشك تجاههن
وثمة نساء عليك أن تكون معهن متأهبا لكل شيء
والرجال كذلك!

الدرس الثالث :
غيرة الرجل على امرأته كالملح في الطعام
قليله يُصلح الطعام
وكثيره يفسده
الكثير أعني به أن تشعر المرأة معه أنها موضع شك وريبة

وإلا فالدم يرخص للشرف
ولا يدخل الجنة ديوث

.

.

الدرس الرابع :
قالت العرب قديماً :
تموت الحرة ولا تأكل بثدييها
ظروف الحياة قد تضطرك لمهن وأعمال أقل من قدراتك
وقد تجعلك تُعاشر أناسا ما كنت لتقبل بالمرور جانبهم في ظروف عادية
ولكن ثمة أشياء غير قابلة للتنازل
لا تبيحها الظروف مهما قست
ثم كونوا على يقين أنه لا أحد يأخذ من المرأة أكثر مما تقرر هي أن تعطيه
المرأة التي تقرر أن تصون نفسها تفعل ولا كانت في جيش قوامه ألف رجل
والمرأة التي قررت أن لا تصون نفسها ستفعل ولو كانت بغرفة مقفلة وليس معها إلا جوّال
لهذا بدل أن تحبس امرأة ربّها!
الأخلاق والقيم هي حبس جميل
وأصلب وأمنع من كل جدوان العالم

الدرس الخامس :

اصلح أخطاءك بكل ما أوتيت من قوة

تصرف الملك الأول فيه خسة ودناءة

وتصرفه الثاني فيه أدب وشهامة

الاعتراف بالخطأ واصلاحه

خير من التمادي في الباطل

صحيح أن خطأ الملك كان كبيراً

ولكننا نحن البشر مطرزون بالأخطاء كبيرها وصغيرها

ولو كان للذنوب رائحة ما احتمل أحد مجالسة أحد

ولهذا سمى نفسه سبحانه الغفور

لأنه يحب أن تعود إليه

والعودة لا تكتمل إلا باصلاح ما أفسدت

فإن أكلت ميراث أخت أعده

وإن أخذت ما ليس لك أرجعه

الشيطان يُصعب هذه المواقف ويخوفنا بالحرج والفضيحة

فإن كل الله قد ستر عند المعصية أيفضح عند التوبة

ثم ما زال الناس يُكبرون من اعترف بخطأ

ويُجلون من أعاد حقا

وأن يُقال إن فلانا أرجع الحق لصاحبه

لأفضل من أن يُقال فلان منذ سنوات أكل حق صاحبه

زوجتي لا تعمل!

شعر موظف البنك باكتئاب نتيجة روتين العمل وضغطه
فأشار عليه أحد أصدقائه أن يقصد طبيبا نفسيا
وبعد أخذٍ وردّ
وتفكر وتدبر
حزم أمره وقرر الذهاب إلى الطبيب
فدار بينهما الحوار التالي :
الطبيب : ماهي مشكلتك يا سيدي؟
موظف البنك : روتين وضغط العمل أيها الطبيب

الطبيب : ما هي وظيفتك؟
موظف البنك : محاسب في بنك

الطبيب : ما هي وظيفة زوجتك؟
موظف البنك : لا تعمل مجرد ربة منزل

الطبيب : من يوقظك وأطفالك ويعدُّ لكم الفطور في الصباح؟
موظف البنك : زوجتي لأنها لا تعمل!

الطبيب : صباحاً . . . متى تستيقظ زوجتك ومتى تستيقظ أنت؟
موظف البنك : زوجتي في الساعة الخامسة صباحاً وأنا في الساعه السابعة لأنها تعد الأطفال للمدارس وتعد لنا الفطور فهي لا

تعمل!الطبيب : من يوصل أطفالك إلى لمدرسة؟
موظف البنك : زوجتي فهي لا تعمل!

الطبيب : ماذا تفعل زوجتك بعد توصيل ا؟طفال للمدرسة؟ وماذا تفعل أنت؟
موظف البنك : تعود وتعد الغداء وتغسل الملابس وتنظف البيت وتنتظر عوده الأبناء فهي بدون وظيفة و لا تعمل!
وانا أذهب لعملي حتى الثالثه بعد الظهر!

الطبيب : في المساء حين عودتك من العمل ماذا تفعل سيدي؟ وماذا تفعل زوجتك؟
موظف البنك : آخذ قسطاً من الراحة بعد الغداء بعد يوم شاق من العمل . . وزوجتي تُراجع مع الأبناء واجباتهم اليومية وتوقظني بعد ذلك لشرب الشاي معاً!

الطبيب : في المساء ماذا تفعل أنت وماذا تفعل زوجتك؟
موظف البنك : أتصفح أنا الصحف وأتابع التلفاز وأخبار العالم وزوجتي تعد العشاء لي وللأطفال ثم تغسل الصحون وتنظف المنزل وتجهز الأطفال للنوم فهي لا تعمل

الطبيب : هل لديك أيام عطل أسبوعية
موظف البنك : أجل يوما واحداً في الأسبوع

الطبيب : وزوجتك هل لديها أيام عطلة
موظف البنك : أخبرتك أنها لا تعمل!

الدرس الأول :
في داخل كل زوج موظف بنك صغير
يرى أنه الوحيد الذي يعمل!

.

.

لقد ارتبط مفهوم العمل عندنا بساعة محددة يبدأ بها الدوام
وعندها ينتهي
أما اللواتي يعملن كالنمل أربعاً وعشرين ساعة في اليوم وسبعة أيام
في الأسبوع فهن عاطلات عن العمل

.

الدرس الثاني :
ارتبط مفهوم العمل عندنا بواجبات محددة على المرء أن يقوم بها
أما اللواتي يعملن في البيوت مُدرّسات وممرضات
وداعيات وخبيرات اقتصاديات ومرشدات اجتماعيات
فهن عاطلات عن العمل لأنهن ليس لديهن مهمة محددة!

.

.

الدرس الثالث :

ارتبط مفهوم العمل عندنا بحقوق العامل
فالعامل له تأمين صحيٌ في حالات المرض العادية
وتأمين أكثر كرماً في حالات اصابة العمل
أما أولئك اللائي يجلين بالماء البارد لا تأمين صحي لهنّ
واللائي يستعملن السكاكين الحادة لا يوجد في حياتهن ما يُسمى
إصابة عمل لأنهن لا يعملن!

اللائي لا ينمن ساعات كافية ليس لديهن تأمين صحيٌ السهر
على ولد مريض ليست وظيفة تستحق

.

.

الدرس الرابع :

ارتبط مفهوم العمل عندنا بالراتب
أما أولئك اللائي لا يتقاضين راتباً عن كل ما يقمن به
فعاطلات عن العمل
يعملن سخرة
وهذا يعني أنهن لا يعملن
لو كان لهن عمل لكان لهن مرتبات

الدرس الخامس :

ارتبط مفهوم العمل عندنا بالحوافز

ننمق أعمالنا

ونتملق مدراءنا أحيانا

فنحصل على مال اضافيّ

بينما الزوجة تعد الحلويات مثلا

ولا تستحق على هذا تحفيزاً

الذين يستحقون التحفيز هو العاملون وهي عاطلة عن العمل

والتحفيز إنما يكون ل «نافلة» قام بها الموظف فوق «فريضة» العمل

أما أولئك اللائي ليس لهن فرائض

فمن بابِ أولى ليس لهنّ نوافل

مع ابنة هولاكو

كانت ابنة هولاكو تسير في أحد شوارع بغداد
فرأتْ جمعاً غفيراً من الناس تحلقوا حول عالم من علماء المسلمين
فأمرتْ حراسها أن يأتوا به

فلما حضر بين يديها قالت له :

- أولستم تقولون أن الله ينصرُ من يحبّ ، وقد نصرنا عليكم ، إذا هو يحبنا أكثر مما يحبكم!

- فقال لها :ليس الأمر كذلك . أتعرفين راعي الغنم؟

- قالت : ومن لا يعرفه؟!

- قال لها : أليسَ القطيع كله رعيّته؟

- قالت : بلى .

- قال : ألا يوجد في قطيعه كلاب؟

- قالت : بلى ، يُوجد .

- قال لها : فما عمل الكلاب في القطيع؟

- قالت : يُرسلها الراعي على الشاردة من غنمه .

- قال : وإن عادتْ الشّاردة؟

- قالت : يكفُّ كلابه عنها .

- قال : فهذا شأننا وشأنكم ، كلنا رعيّة الله ، نحن غنمه وأنتم كلابه ، فلما شردنا أرسلكم الله علينا حتى نرجع ، فإن رجعنا كفّ أيديكم عنّا!

الدرس الأول :
جَرَتْ سُنة علم الاجتماع بين المتحارين أن يؤثر الغالب في المغلوب
وحده الصراع بين المغول والمسلمين كان مخالفا لهذه السُنة
ومغايراً لتلك الشِرعة
وهذا يعود برأيي لسببين :
١ . أن المسلمين كانوا على ثقة بدينهم واعتزاز بحضارتهم
فعلى رغم ما ترويه كتب التاريخ من وحشية المغول واعمالهم
السيف في الناس إلا أنهم بقوا على حضارتهم ودينهم

٢ . لم يكن للمغول حضارة أساسا ليتأثر بها المغلوب
فالمغول رعاع حديثهم السيف وبيوتهم ظهور الخيل
لم يضعوا حجراً على حجر
ولم يرفعوا بناءً
أو يشقوا طريقاً
أو يسُكوا عملة
أو يؤلفوا كتاباً
كان عندهم حساسية ضد الكتب والثقافة
وليس أدل من هذا رمي مكتبة بغداد في دجلة
كتابهم الوحيد كان يُسمى «الياسق» وهو عبارة عن قوانين كان قد وضعها جنكيز خان
وتُظهر قوانين الياسق أن القوم كأنهم كانوا يعيشون في العصر الحجري!

.

الدرس الثاني :
حاجة الناس للعلماء في الملمات كحاجتهم للدواء في المرض إن لم يكن أحوج
وكلمة الحق زمن الشدة تعدل ألف كلمة زمن الرخاء
والعلماء التي تطلبهم الأمم ليوجهوا بوصلاتها فلا يجدونهم لأنهم آثروا السلامة هم في الحقيقة مهرجون لا علماء
فكلمة الحق وقت حاجتها كـ«كنزة» الصوف ذات عاصفة

والذي يؤخرون ارتداءها لحين انقشاع العاصفة
سيبدون مضحكين كمن يرتدي «كنزة» الصوف صيفاً

.

الدرس الثالث :
وضع الله لهذا الكون شرائع وقوانين يحكم بها عباده ولا تحكمه
ومتى رأى سبحانه أن عباده يستحقون أن يخرق سنن الكون
لأجلهم
وليس أهون على الله من هذا

أغرق الأرض لنوح
وأبرد النار لابراهيم
وشق البحر لموسى
وجعل الحوت بيتاً ليونس
ورفع عيسى إلى السماء لما ضاقت به الأرض

فعل هذا لهؤلاء لأن قلوبهم تعلقت به
لا بالأسباب التي خلقها لهم
فلما استغنوا بقدرته عن أسبابه كفاهم إياها
ولو فعلوا غيره لأركنهم إلى أسبابه

وهذه السُنة سائرة في الكون لا تتغير ولا تتبدل

لم يخض المسلمون حرباً قط وهم أكثر جهوزية حربية من أعدائهم عددا وعتادا

من بدر إلى حطين

المعركة الوحيدة التي ركنوا فيها إلى كثرتهم أركنهم الله إليها فهزموا أولها ولما عرفوا أن ما عند الله يُطلب بالطاعة لا بالقوة

أحسنوا ظنهم به فكان عند حسن ظنهم

فهذا المرض لا يخفى على أحد

وهذا العلاج صار بينا

والقافلة سائرة من ركب سارت به

ومن نزل سارت دونه

الأسلوب

سأل بائعُ العسل بائعَ الخل :
لماذا يُقبل الناس عليكَ ويُدبرون عني؟
فقال له : لأني أبيعُ الخل بلسانٍ من عسل
وأنتَ تبيع العسل بلسان من خلّ!

.

العبرة الأولى :
لا يكفي أن تمتلك بضاعة جيدة
لا بد من أسلوب جيد لتسويقها
لهذا يقول المثل الصيني :
إذا كنتَ عاجزاً عن الابتسام فلا تفتح دُكانا!
ولكنني لم أجمعكم لأحدثكم عن الخل والعسل
ولا عن الدراهم والدنانير والدكاكين

.

الأفكار بضائع
وأسلوب تسويقها هو الجانب الأهم في المسألة
أحيانا يهرب الناس من فكرة جميلة
لأن الذين يدعون إليها ليسوا نماذج مشرفة ليكون الإنسان على شاكلتهم

فـتـرانا نقـول فـي أنفـسنا : إن كـانت هذه الفكـرة سـتـجـعلنا على شاكلتكم فنحن بغنى عنها

على العكس تماماً فإنك أحيانا تستمع لشخص يحدثك عن فكرة من رابع المستحيلات أن تقتنع بها

والمستحيلات عند العرب ثلاثة :

الغول والعنقاء والخل الوفي!

ولكنك تستمع إليه احتراما لأسلوبه لا لفكرته

.

العبرة الثانية :

لم يكن له جمال يوسف

لكنه بأدبه وأخلاقه شغف الجميع حبا

ولو أعدوا متكئا للقلوب وآتوا كل قلب سكينا

فادخلوا قلبه على قلوبهم

لقطعت القلوب شراينها وهي لا تشعر

كان يملك السلاح الأمضى

الأسلوب

«ولو كنتَ فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك»

.

العبرة الثالثة :
اختر كلامك كما تختر عطرك وثيابك
لأن الكلام أناقة

.

.

العبرة الرابعة :
إذا كنت تحمل فكرة جميلة
فلا تشوهها بأسلوب قبيح
وإذا كنت تحمل فكرة قبيحة
فلا يجتمع عليك قبيحان
قبح الفكرة وقبح الأسلوب!

.

العبرة الخامسة :
من ناحية أدبية
الفرقِ بين كاتب وكاتب ليس إلا الأسلوب
البعض يكتبون عن فكرة جميلة بذاتها فيشوهونها
والبعض يرفعون فكرة بسيطة إلى مصافي الجمال
يكتب أحدهم عن جنازة أمه
وهذه بحد ذاتها فكرة تجلب تضامن القارئ
فيشوه الفكرة بأسلوبه وتتمنى لو أنه دُفن بجوار أمه
ويكتب آخر عن قطة تعبر الشارع وتدهسها سيارة
فيجعلك تشعر أن المدهوس أحد أولاده

صاحب السمو «الأدب»!

١

عندما أنشد أمرؤ القيس :

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل

وإن كنتِ قد أزمعتِ صرمي فأجملي

أغركِ مني أن حبكِ قاتلي

وأنكِ مهما تأمري القلب يفعلِ

وما ذرفتْ عيناك إلا لتضربي

بسهميكِ في أعشار قلب مُقتّلِ

لم يكن يعرف أن فاطمة ستصبح بفضل هذه الأبيات

أشهر فاطمات العصر الجاهليّ

ففاطمة كانت أعرابية ككل الأعرابيات وقتذاك

نجت من الوأد لسبب ما

كانت تحلب الشياه وتجمع الحطب وتوقد النار

لم تكن أكثرهن فتنة وجمالاً

ولكنها كانت بعيني امرئ القيس كذلك

فقرض فيها شعراً وخلّدها

إنه صاحب السمو «الأدب»

.

٢

كانت في عصر بثينة نساء أجمل منها
وكان لهن عشاق كما كان لبثينة عاشق
فعشنَ ومتنَ ولم يدرِ بهنّ أحد
ولكن بثينة كانت حبيبة شاعر
والشعراء يُخلّدون حبيباتهم
فما زلنا حين نقرأه ينشد :

لقد أورثتْ قلبي وكان مصحصحا
بثينةُ صدعا يوم طار رداؤها

إذ خَطَرَتْ من ذكر بـثـنـة خطرةٌ
عصتني شؤون العين فانهلّ ماؤها

فإن لم أزرها عادني الشوق والهوى
وعاود قلـبـي من بثينـة داؤها
نقول أن هذا الشعر ليس قطعة أدبية
إنه وثيقة
اثبات حالة / حياة لامرأة كان اسمها بثينة
إنه صاحب السمو «الأدب»

.

٣

عندما قصد قيس الحج ليؤدي مناسكه
ويتوب من ذنوبه
وجد ليلى ذنبه الذي لا يستطيع التوبة عنه

فأنشد :
ذكرتك والحجيج لهم ضجيج
بمكة والقلوب لها وجيب

فَقُلْتُ وَنَحْنُ فِي بَلد حَرام
بِهِ واللّه أُخْلِصَتِ القلُوبُ

أتوب إليك يارحمن مما
عملت فقد تظاهرت الذنوب

فأما من هوى ليلى وتركي
زِيارتَها فَإنِّي لا أَتوبُ

وكيف وعندها قلبي رهين
أتوب إليك منها أو أنيبُ

عُشاق كثر تذكروا حبيباتهم في الحج
وعشاق كثر تابوا من ذنوب كثيرة

ولكنهم وجدوا الحب ذنبا أجمل من أن يُتاب عنه
ولكنّ قيساً كان شاعراً
والشعراء يُخلّدون حبيباتهم
إنه صاحب السمو «الأدب»

٤

في الجاهلية دارت رحى حروب كثيرة
منها ما كان على الكلأ والماء
ومنها ما كان سباق النوق فاختلفوا أيهما وصلت أولاً داحس أم الغبراء
فاقتتلوا سبعين عاماً
وأنهوا الحرب بالصلح دون أن يعرفوا من التي وصلت أولا!
وطحنت رحى الحروب تلك عشرات آلاف الرجال
طواهم التراب
ثم طواهم الزمن
فكأنهم ما ولدوا وما قاتلوا وما ماتوا
ولكن صخراً كان عنده أخت اسمها الخنساء
وكانت الخنساء شاعرة في الجاهلية
تقصد سوق عكاظ
وحكم لها النابغة يوما قائلا :
الخنساء أشعر العرب!

ومن مات وكان له أخت كالخنساء خلدته
فمن قيل فيه هذا لا يموت :
قذى بعينيك أم بعينيك عوار
أم أقفرتْ إذ خلت من أهلها الدارُ

كأن عيني لذكراه إذا خطرت
فيض يسيل على الخدين مدرارُ

تبكي خُناس على صخر وحق لها
إذا رابها الدهر إن الدهر ضرارُ

لا بد من ميتة في صرفها عبر
والدهر في صرفه حول وأطوارُ

يا صخر ورّاد الماء تـوارده
أهل المرارد ما في ورده عارُ

وإن صخراً لحامينا وسيدنا
وإن صخراً إذا نشتو لنحّارُ

وإن صخرا لتأتم الهداة به
كأنه علم في رأسه نارُ

حمّال ألوية هبّاط أودية
شهّاد أندية للجيش جرارُ

ولولا الخنساء لاندثر مما اندثر غيره
ولكنه صاحب السمو «الأدب»

٥
وسطوة الأدب حديثاً كما قديماً
هو صاحب السمو في كل عصر
بلقيس دون نزار كانت امرأة عادية
بعثرها انفجار كمئات النساء اللائي متن في الحرب دون أن يدري بهن أحد
ولكن الحرب عندما حولت بلقيس من امرأة إلى جثة
حولها نزار من امرأة إلى قصيدة
والقصائد تُعمّر أطول من أصحابها!
لهذا مات نزار وبقيت بلقيس القصيدة :

بلقيس . . .
كانت أجمل الملكات في تاريخ بابل
بلقيس . .
كانت أطول النخلات في أرض العراق

كانت إذا تمشي . .
ترافقها طواويسٌ . .
وتتبعها أيائل . .
بلقيس . . يا وجعي . .
ويا وجع القصيدة حين تلمسها الأنامل
هل يا ترى . .
من بعد شعرك سوف ترتفع السنابل؟

٦

أم سعد امرأة هدّها اللجوء
وعبث بها الفقر
وعصفت بها رياح الهزائم
غرق بيتها بمطر الشتاء
وغاصت كثيرا بوحل المخيم
وعملت بتنظيف ادراج البنايات في ليل كانون البارد
ولكنها كانت امرأة من آلاف نساء عشنَ هذا الدور
ولكن أم سعد كان لها غسان ليخلدها
ويكتب باسمها رواية
إنه صاحب السمو «الأدب»

كيد النساء!

١

سمع رجل عن كيد النساء فأراد أن يرتحل ليعرف عنه
وفي طريقه التقى بأمرأة واقفة بجانب بئر
فاقترب منها وهي خائفه
وسألها «ما هو كيد النساء؟»

فبدأت تبكي بصوت مرتفع
حتى يسمعها أهل القرية
فسألها خائفاً : لماذا؟
قالت : حتى يأتي أهل القريه فيقتلوك!

فقال لها : أنا لم آتِ إلى هنا لإيذائك
ولكني توسمت فيك الذكاء فسألتك؟
ولم تكن رغبتي في الحديث اليك لنية سيئه كونك امرأة جميلة

فقامت وأمسكت دلو الماء وسكبته على نفسها . .!
فتعجب الرجل منها
وسألها لماذا فعلتِ هذا؟
وبينما هو يتكلم أَتى الناس
فقالت المرأة : هذا الرجل أنقذني عندما سقطت في البئر . .!!

فقام الناس إليه يشكرونه
فسألها ما الحكمة من فعلتك هذه
فقالت : هكذا المرأه؟
إذا أذيتها . . . . آذتك!
وإذا رضيت عنك أسعدتك!

.

الدرس الأول :
الكيد شيء موجود في النساء
ولكن هذا لا يعنى أنه ليس موجوداً في الرجال!
غير أن الرجال يعتقدون أنهم مُعافون منه لنص الآية :
﴿إن كيدكن عظيم﴾
والآية إن أثبتت بشكل قاطع الكيد في بناء المرأة النفسيّ
فهذا لا يعني أنها براءة للرجال
ولكنها دليل دامغ على أن
نسبة تركيزه في النساء أكثر مما في الرجال!

.

الدرس الثاني :
خلق الله المرأة أرقّ من الرجل في المشاعر
وأضعف منه في البنية الجسدية
ووضع فيها الكيد سلاحاً تداري فيه رقتها
وتعوّض فارق القوة بينها وبين الرجل

وكل من يحمل سلاحاً ليس بالضرورة أن يستخدمه
ولكنه لا شك سيستخدمه إذا احتاجه
فالرجل الذي يحمل مسدسا لن يطلق النار على كل من يلقاه!

الدرس الثالث :
الكيد ليس اختيارا نسائياً تُذم عليه النساء
ليس مستحضر تجميل يشترينه بملء إرادتهن
وليس حُليا يضعنه برغبتهن
إنما هو فطرة الله التي فطر عليها الناس
والله لا يُذمُّ بشيء خلقه
لأنه سبحانه لا يخلق شيئا إلا لحكمة
ويبقى خلقه حكمة حتى إن عجزنا عن إدراكها!

.

.

الدرس الرابع :
الكيد مرتبط بحسن التدبير بشكل عام
وليس مرتبطاً بالشر بشكل خاص
فالقادرة على أن تكيد عليك
قادرة على أن تكيد لكَ
هي سيف بيدك وبإمكانك أن تحارب به الدنيا
وبإمكانك أن تغرسه في صدرك!

خديجة امرأة فلماذا لم نسمع شيئا عن كيدها
هذا لأنها وجدت رجلاً حوّل طاقة التدبير فيها نحو الخير
فكانت تكيد له في وجه الدنيا
كانت أمه التي فقدها صغيراً
وأخته التي لم تنجبها أمّه
وصديقته التي وهبها الله إياها
وحبيبته التي يوم نزل عليه الوحي ذهب إليها وتدثر بحنانها
وزوجته التي أنجبت له الزهراء أم سيدا شباب أهل الجنة

.

.

الدرس الخامس :
الحيّة ملمسها ناعم
جرّب أن تؤذيها
ستُظهر لكَ سُماً يُنسيكَ نعومتها
والنساء كذلك!
والأمثلة بالمعنى لا باللفظ

.

.

جاءت عجوز إلى هارون الرشيد تسأله حاجة
فأمر أن تُقضى حاجتها
فرفعت يديها إلى السماء وقالت :
أسأل الله أن يجعل كيدك في أعدائك كيد امرأة في ضرتها
فهمّ من حوله ليطردوها

فابتسم الرشيد وقال لهم :
دعوها فقد أخذت بمجامع الدعاء!

حين ترى المرأة زوجها عند أخرى ستشعر بالاهانة
بغض النظر أن تعدد الزوجات ليس محط نقاش
فلا نقاش بما فيه نص
ولكن الإنسان هو الإنسان
وحين تشعر أنها أثاثا في البيت لا زوجة ستشعر بالاهانة
وحين تُضرب وتُنتقص انسانيتها ستشعر بالاهانة
عندها ستكيد
امرأة يحبها زوجها ويحترمها برأيكم ستكيد له أم ستتمسك به
امرأة رباها أبوها كما يجب ستكيد له أم ستضعه تاجاً على رأسها
امرأة لم يحرمها أخ من ميراث ولم يبادرها بقطيعة ستكيد له أم ستعتبره ثروتها
امرأة تعاملها حماتها كبنت لها ستكيد لها أم ستتخذها أما
نحن نستخرج أجمل ما في الناس
ونحن نطلق أسوأ ما فيهم

الإعاقات الجماعيّة

يُحكى أن أحد الملوك تأخرتْ زوجته في انجاب ولي العهد
فأرسل في إثر الأطباء من كل أرجاء المملكة
وشاء الله أن يُجري شفاء الملكة على أيديهم
فحملتْ الملكة بولي العهد
وطار الملك بذلك فرحاً وأخذ يعد الأيام لمقدم الأمير
وعندما وضعت الملكة وليدها
كانت دهشة الجميع كبيرة
فقد كان المولود بأذن واحدة!
انزعج الملك لهذا وخشي أن يصبح لدى الأمير الصغير عقدة نفسية
تحول بينه وبين كرسيّ الحكم
فجمع وزراءه ومستشاريه وعرض عليهم الأمر
فقام أحد المستشارين وقال له :
الأمر بسيط أيها الملك
اقطع اذن كل المواليد الجدد وبذلك يتشابهون مع سمو الأمير
أُعجب الملك بالفكرة
وصارت عادة تلك البلاد أنه كلما وُلد مولود قطعوا له أُذنا
وما إن مضت عشرات السنين حتى غدا المجتمع كله بأذن واحدة

وحدث أن شاباً حضر إلى المملكة وكان له أذنان كعادة البشر
فاستغرب سكان المملكة من هذه الظاهرة الغريبة
وجعلوه محط سخرية

وكانوا لا ينادونه إلا ذا الأذنين
حتى ضاق بهم ذرعا وقرر أن يقطع أذنه ليصير واحداً منهم!

الدرس الأول :
يمكن لمجتمع ما أن يكون معاقاً بالكامل
وهذا حدث آلاف المرات في تاريخ البشرية
فالله كان يرسل الأنبياء ليصححوا إعاقات المجتمعات الفكرية
والسلوكية والدينية
فمجتمع إبراهيم كان معاقاً بالشرك
وكان إبراهيم بينهم غريباً لأنه لم يكن يمارس إعاقتهم
ومجتمع لوط كان معاقاً بالشواذ
وكان لوط بينهم غريباً لأنه لم يكن يمارس إعاقتهم

الدرس الثاني :
عندنا قاعدة فقهية تقول :
إجماع الناس على شيء لا يُحله
.
الخطأ يبقى خطأ ولو فعله كل الناس
والصواب يبقى صواباً ولو لم يفعله أحد!

.

.

الدرس الثالث :

لا تقطع أُذنك!

إذا كنت على يقين أنك على صواب فلا تتنازل عنه لارضائهم

إذا كان لا يخجلون بخطئهم

فلما تخجل أنت بصوابك

وتذكر دوماً أن «أكثر الناس»

ما جاءت في القرآن إلا وتبعها

لا يعلمون

لا يتقون

لا يعقلون

لا يؤمنون

.

الدرس الرابع :

البعض يعيش بمبدأ :

«خالف تُعرف»

إياك أن تكون كذلك

فقد يكون المجتمع على صواب وأنت على خطأ

مخالفة السواد الأعظم من الناس ليس دليل عافية دوماً

فالخطأ ليس ما يفعله جمهور النص عادة

والصواب ليس ما يخالفهم فيه الفرد

الصواب والخطأ يخضع لمجموعة من الأخلاقيات والقيم
تحكم على سلوك ما بمدى خطئه أو صوابه
العبرة ليست بالعدد

.

الدرس الخامس :
عادة الأخطاء في المجتمع صعبة التغيير
ذلك أن المجتمعات لا تتبنى جملة قيم
إلا بعد ممارسة طويلة لها قد يكون عمرها أجيالاً
وما يتلقاه الناس بالتربية من الصعب تغيبره
عكس ما يتبناه الفرد بالاختيار
ومن أجمل التوصيفات لهذا وصف سعيد تقي الدين إذ يقول :

«الرأي العام بغل كبير»!

يصعب عليك جر هذا البغل الكبير إلى حظيرة الصواب
وهذا شيء كان صعبا على الانبياء حتى
وإلا ما أغرق الله الأرض لنوح
ولا خسف بقرى لوط الأرض

لهذا شيء عادي أن لا تستطيع جر هذا البغل الكبير حيث الصواب
ولكن إياك أن يجرك بغل فقط لأنه كبير!

الناس معادن!

أراد حكيم القصر أن يعطى الأمير الصغير درساً فى الحياه فسأله :
ما هو أكثر معدن يعجبك من المعادن؟

فأجاب الأمير بثقة : الذهب طبعاً!
فسأله مره أخرى : لِمَ الذهب؟

فأجاب بثقة أكبر من سابقتها :
لأنه ثمين وغالٍ وهو المعدن الذي يليق بالملوك .
صمت الحكيم للحظات ولم يجب ثم ذهب إلى الخدم وقال لهم :
اصنعو لي تمثالين بنفس الشكل ولكن أحدهما من الذهب الخالص والآخر من الطين
وبعد أن صنعوا تمثالين متطابقين تماما
طلب منهم أن يقوموا بطلاء التمثال المصنوع من الطين بلون ذهبي ليبدو كالتمثال الآخر تماما

بعد يومين اتى الحكيم إلى الأمير بالتمثالين وقد غطاهما
فنزع الغطاء فانبهر الأمير لجمال صنعهما واتقانهما
فسأله الحكيم : ما رأي الأمير بما يرى؟
فأجاب الأمير : إنهما تمثالان رائعان من الذهب الخالص

فقال الحكيم : دقق يا مولاي ألا ترى فرقاً؟

فقال : كلا

فقال الحكيم أمتأكد يا مولاي؟

قال الأمير بغضب قلت لك كلا لا أرى أي فرق

فأشار الحكيم إلى خادم كان يمسك دلو ماء

فرشق الخادم الماء على التمثالين بقوه ،

فصعق الأمير عندما رأى الطين يتلاشى والذهب يزداد لمعاناً

فقال الحكيم : مولاي هكذا الناس عند الشدائد من كان معدنه من ذهب يزداد لمعانا

ومن كان معدنه من تراب يتلاشى كأنه لا شيء

.

.

الدرس الأول :

لا تخدعنّك المظاهر

بعض الناس مثل الروايات الحديثة

غلاف جذّاب ومضمون سيء!

فكما أنه من الحماقة أن تشتري كتاباً لغلافه

فالحماقة الأكبر أن تحكم على إنسان من مظهره

الناس في هذا العصر أغلى ما فيهم ثيابهم

وأثمن ما يملكون ساعاتهم ومجموهراتهم

الدرس الثاني :

المواقف تكشف الناس فلا تحكم على إنسان من كلامه

الناس مثاليون حين يتحدثون

من السهل الحديث عن الشجاعة بعيداً عن ميدان المعركة

ومن السهل الحديث عن العفة بعيداً عن ميدان الفتنة

ومن السهل الحديث عن العدل بعيداً عن ميدان السلطة

.

.

الدرس الثالث :

الناس أشجار

والمواقف رياح

من الأشجار من تمر به الريح فتعريه

ومن الأشجار من تمر به الريح فتجده دائم الخضرة

فلا تحكم على أحد حتى تجربه في موقف

سأل عمر بن الخطاب عن رجل إن كان يعرفه أحد

فقام رجل وقال : أنا أعرفه يا أمير المؤمنين

فقال عمر : لعلك جاره فالجار أعلم بخفايا جاره

فقال لا

فقال عمر : لعلك تاجرت معه وعاملته بالدرهم والدينار فالمال يكشف خفايا النفوس

فقال لا

فقال عمر : لعلك صاحبته في سفر فالسفر يكشف معادن الناس

فقال لا

فقال عمر : لعلك رأيته في المسجد يهز رأسه قائما وقاعداً

فقال نعم

فقال عمر : اجلس فإنك لا تعرفه!

لا تُفسدوا القهوة!

اعتاد أستاذ جامعي بعد أن أُحيل إلى التقاعد
أن يدعو كل فترة دفعة من طلابه الخريجين
وبعد أن التقى الخريجون في منزل أستاذهم العجوز
بعد سنوات طويلة من مغادرة مقاعد الدراسة
وبعد أن حققوا نجاحات كبيرة في حياتهم العملية
ونالوا أرفع المناصب وحققوا الاستقرار المادي والاجتماعي
وبعد عبارات التحية والمجاملة
طفق كل منهم يتأفف من ضغوط العمل
والحياة التي تسبب لهم الكثير من التوتر
.
غاب الأستاذ عنهم قليلاً
ثم عاد يحمل أبريقا كبيراً من القهوة
ومعه فناجين من كل شكل ولون :

فناجين صينية فاخرة
فناجين ميلامين
فناجين زجاجية عادية
فناجين بلاستيك
فناجين كريستال
بعض الأكواب كانت في منتهى الجمال
تصميماً ولوناً وبالتالي كان باهظة الثمن

بينما كانت هناك أكواب من النوع الذي تجده في أفقر البيوت

قال الأستاذ لطلابه :
تفضلوا ، وليسكبْ كل واحد منكم لنفسه القهوة
وعندما بات كل واحد من الخريجين ممسكاً بكوب تكلم الأستاذ مجدداً :

هل لاحظتم أن الأكواب الجميلة فقط هي التي وقع عليها اختياركم

وأنكم تجنبتم الأكواب العادية؟
من الطبيعي أن يتطلع الواحد منكم إلى ما هو أفضل
وهذا بالضبط ما يسبب لكم القلق والتوتر
ما كنتم بحاجة إليه فعلا هو القهوة وليس الكوب
ولكنكم تهافتم على الأكواب الجميلة الثمينة
و بعد ذلك لاحظت أن كل واحد منكم كان
مراقباً للأكواب التي في أيدي الآخرين

فلو كانت الحياة هي : القهوة
فإن الوظيفة والمال والمكانة الاجتماعية هي : الأكواب
وهي بالتالي مجرد أدوات ومواعين تحوي الحياة

ونوعية الحياة (القهوة) تبقى نفسها لا تتغير
و عندما نركز فقط على الكوب فإننا نضيع فرصة الاستمتاع بالقهوة .

وبالتالي أنصحكم بعدم الاهتمام بالأكواب والفناجين

وبدل ذلك أنصحكم :

استمتعوا بالقهوة

.

الدرس الأول :

النظر إلى ما في أيدي الآخرين

يفسد علينا متعة الاستمتاع بما في أيدينا

إذا رأيتَ في يد شخص شيئاً أجمل مما في يدك

فلعله تعويض عن شيء حُرم منه

البيوت أسرار

والناس صناديق مُغلقة

.

الدرس الثاني :

مشكلة الناس في هذا العصر أن معيار الحرمان عندهم هو المال

فمن كان له مال فهو ذو حظ عظيم

ومن ليس له مال فيستحق الشفقة

دعوني لا أكون مثاليا

المال عجلة الحياة

ولكنه ليس الحياة

صحيح أنه يتيح لك أن تعيش تعاستك برفاهية

ولكنه لا يكفي وحده ليجعلك تعيش
أجمل ما في الحياة هي تلك الأشياء التي ليس لها ثمن
ويقف المال أمامها فقيرا عاجزاً لا يستطيع شراءها
حنان امرأة تحبكَ
وحضن رجل يحبكِ
أصدقاء مخلصون
أولاد أذكياء وأصحاء
دعوة أم عند الصباح
رغيف من حلال
بيت من سِتر وحب
هذه الأشياء هي الحياة
والمال لا يستطيع شراءها.

•

الدرس الثالث :
إننا نهتم بالوسائل ونهمل الغايات
هكذا هم البشر هذا الزمن
يهتمون بالوسائد أكثر مما يهتمون بالنوم
يهتمون بالمستشفيات أكثر مما يهتمون بالصحة
يهتمون بالمدارس أكثر مما يهتمون بالتعليم
يهتمون برجال الدين أكثر مما يهتمون بالدين
يهتمون بوسائل الاتصال أكثر مما يهتمون بالتواصل

فابتغوا عند الله الرزق!

جلس رجلان قد ذهب بصرهما في طريق أم جعفر زبيدة العباسية لمعرفتهما بكرمها
فكان أحدهما يقول : اللهم ارزقني من فضلك
وكان الآخر يقول : اللهم ارزقني من فضل أم جعفر!
وكانت أم جعفر تعلم ذلك منهما وتسمع
فكانت ترسل لمن طلب فضل الله درهمين
ولمن طلب فضلها دجاجة مشوية في جوفها عشرة دراهم
وكان صاحب الدجاجة يبيع دجاجته لصاحب الدرهمين ، بدرهم كل يوم
وهو لا يعلم ما في جوفها من دراهم

وأقام على ذلك عشرة أيام متوالية
ثم أقبلت أم جعفر عليهما
وقالت لطالب فضلها : أما أغناك فضلنا؟
قال : وما هو؟
قالت : مئة درهم في عشرة أيام
قال : لا
بل الدجاجة كنت أبيعها لصاحبي بدرهم

فقالت أم جعفر : هذا طلب من فضلنا فحرمه الله
وذاك طلب من فضل الله فأعطاه الله وأغناه

.

.

الدرس الأول :
ما كان لكَ سيتبعك ولو هربتَ منه
وما لم يكن لكَ لن تناله ولو ركضتَ وراءه
انظر لحبة البُن
تُزرع في بلد
وتُطحن في بلد
وتُغلّف في بلد
ويشتريها تاجر من بلد
ويبيعها لتاجر آخر في بلد
ثم تصل إليكَ وتكون قهوتك لأنها منذ البداية قد كُتبت لكَ
مزارعون وتجار وباعة يعملون ليصل لرزقك إليك
ومرة أخرى تعمل وتشتري وتبيع وتكد وتشقى
ويصير المال في جيبك ثم تفقده
ذلك لأنه لم يكن منذ البداية لك!

.

.

الدرس الثاني :
الناس أسباب والرازق هو الله
الأطباء أسباب والشافي هو الله
الزوجان أسباب والخالق هو الله

.

خذوا بأسباب الرزق فهي واقعة في قدر الله
وبأسباب الشفاء فهي واقعة في قدر الله
وبأسباب الانجاب والنجاح والغنى فهي واقعة في قدر الله
ولكن لو كان الناس يرزقون فمن الذي يرزقهم
لو كان الأطباء يشفون فلمَ يمرضون

كم مرة درستَ وما نجحت
كم مرة تداويتَ وما شُفيت
كم مرة زرعتَ وما حصدت

من اعتمد على السبب أركنه الله إليه
ولن يناله إلا ما كتبه له
ومن اعتمد على الله أوصل الله إليه ما قسمه له
وحفظ له ماء وجهه
الناس أضعف من أن يمنعوا رزقاً كتبه الله
وأضعف من أن يوصلوا رزقاً منعه الله

.

الدرس الثالث :
الرزق بيد الله لا تعني أن تكون عالة لأن رزقك سيأتيك
هناك فرق بين التوكل على الله
والأكل عند عباده
قرأتُ مرّة قصة يرويها عالم بحار ايرلندي
يقول رأيتُ سمكة تصطاد وتأكل

فإذا شبعت اصطادت سمكة وحملتها وتوجهت بها نحو الأعمق
وتكرر هذا المشهد مرتين أمامي
لأننا كنا نُصوّر في ذات المكان لأيام
فتملكني الفضول لما أعرفه عن أن السمك يصطاد ويأكل ولا ينقل ما اصطاده
في اليوم التالي رأيتُ ذات السمكة
تسبح نحو الأعماق صوب الصخور المعتادة وفي فمها سمكة
فتبعتها فأذا هي تضع السمكة الميتة عند أسفل صخرة
وما هي إلا لحظة حتى خرجت سلحفاة كأنها تتحسس طريقها
فإذا هي عمياء
أخذت السمكة وعادت إلى مخبئها!
قد يكون رزقك صدقة
ولكن هناك فرق بين من يعطي الصدقة ومن يأخذها
هناك فرق بين يصطاد السمكة ويسبح نحو الأعماق
وبين من يخرج ليأكلها ثم يعود
في المجتمع مبصرون كثر هم في الحقيقة سلاحف عمياء

البئر الأوّل

يُحكى أنّ مملكة صغيرة جميلة كانت تحيطها بحيرة هي كل ما يعتمد عليه سكانها لتحصيل أرزاقهم وري محاصيلهم تأمين مشربهم

وفي أحد الأعوام جاء الصيف شديد الحرارة
ولم يهطل المطر ذاك الشتاء
فجفت البحيرة
وقلق الناس
وذهبوا للقاء الملك

قال له الفلاحون :

«سيدي لم يهطل المطر منذ زمن طويل
الزرع لا ينمو ولن يكون هناك محاصيل»

قال له الصيادون :
«الأسماك ماتت ، كيف سنجني المال وكيف سنحصل على الغذاء؟»

قالت له النساء :
الأطفال يبكون من العطش

ولا يوجد ماء للطبخ ولا للغسيل
فأنقذنا من هذه المصيبة يامِلكنا

أرسل الملك وزراءه الأربعة لإيجاد الماء
كل منهم إلى مكان . .

الوزير الأول ذهب شرقاً إلى مكان شروق الشمس
الوزير الثاني ذهب إلى الجنوب الحار والمالح
الوزير الثالث ذهب إلى الغرب حيث غابت الشمس
أما الوزير الرابع فتعقب نجوم الشمال . .

بحث الوزراء صباحاً مساء
في أعالي الجبال وأسافل الوديان

بحثوا في كل موقع
تفحصوا كل شيء ، ولكن لا جدوى!

عاد الوزراء الثلاثة فارغي الأيدي إلى الملك
أما الوزير الذي ذهب باتجاه الشمال فقرر ألا يخيّب أمل الملك

وفي النهاية وصل إلى قرية جبلية باردة مثل الثلج

جلس على صخرة في منحدر الجبل

ومن هناك مرت امرأة مسنة
أتت إلى جانبه وجلست

قال الوزير مشيراً بيده للأفق :
جئت من مملكة جميلة جداً ولكن في مملكتنا لم يهطل المطر منذ عام
هل تساعديني على إيجاد الماء؟

أخذت العجوز الوزير إلى قمة الجبل
وقالت له :

ونحن أيضاً لا يوجد في قريتنا ماء . .
ولكن هذا الأبيض الممتد على مد النظر الذي ندعوه جليداً يصير ماءً
خذ هذا الجليد معك وأوصله إلى مملكتك ولن يعطش أحد أبداً مرة ثانية

أخذ الوزير قطعة كبيرة من الثلج
وحملها إلى عربة الحصان
وعاد مستعجلاً إلى المملكة
وفي الطريق كان الجليد يذوب رويداً رويدا
وفي النهاية عندما وصل إلى القصر كانت كتلة الجليد قد أصبحت قطعة صغيرة جداً

وحتى ذلك اليوم لم يكن أحد في القرية قد رأى قطعة جليد
وقف الجميع معجبين بقطعة الجليد!

فقال أحد الوزراء :
«على أية حال يجب أن تكون هذه هي بذرة الماء»

قال الملك :
بسرعة ازرعوا بذرة الماء

عندما كان الفلاحون يحفرون الحفرة
ذابت قطعة الجليد
قام الفلاحون بإلقاء قطعة الجليد بسرعة إلى الحفرة

ولكن قبل أن يغطوا الحفرة بالتراب نظروا إلى القطعة وكأنها لم تكن!

اندهش الفلاحون
وراحوا يحفرون التراب طوال الليل بحثاً عن قطعة الجليد
حفروا بدون توقف
وبحثوا عن البذرة بإصرار
وفي فجر اليوم التالي أتى الملك
ونظر إليهم فوجد الفلاحين نائمين حول الحفرة
نظر إلى الحفرة بفضول ليعرف مدى عمقها
فرأى الحفرة ممتلئة بالماء

قال : استيقظوا أيها الفلاحون
بذرة الماء أعطت محصولها
الحفرة ممتلئة بالماء

هكذا ولد البئر الأول!

.

.

لولا القرآن لما استطعنا أن نجزم بما لا يدع مجالاً للشك كيف جاء الإنسان الأول
فمن باب أولى لم يكن هذا هو البئر الأول!

ولكني لم أجمعكم اليوم لأحدثكم كيف بدأت الآبار
فالقصة من الأدب الشعبيّ الذي لا يمكن الركون إليه لتبني حقائق علميّة أو تاريخية

ولكن القصة مثال جيّد للحديث عن مميزات الأدب الشعبيّ :

١ . يمتاز الأدب الشعبيّ بسهولة المفردات وبساطة التراكيب اللغوية
ذلك لأنه أدب العامة تأليفاً ورواية
ففهم قصيدة جاهلية أمر عسير دون معجم
بينما تقرأ كتاباً كاملاً في المثل والحكاية الشعبية فلا يكاد يخفى عليك مفردة واحدة

.

٢ . الأدب الشعبيّ مليء بالخرافات سواء ما يأتي على لسان الطير والحيوان أو ما يأتي على شكل خوارق على أيدي أشخاص عاديين
ذلك أن الهدف من القصة أهم من القصة ذاتها
إذ أن القصص في التراث وسائل لا غايات تهدف لنقل جملة معتقدات وقيم من جيل إلى جيل

.

٣ . الأدب الشعبيّ في معظمه أدب ملفوظ تتناقله الأجيال شفاهاً
وإن حدث ودُوّن فثمة فاصل زمني شاسع بين بداية القصة وبين زمن تدوينها
هذا مع العلم أنه لا يمكن تحديد الزمن الذي قيلت فيه القصة

.

٤ . من النادر العثور على مؤلف لقصة شعبية ما
فالأدب الشعبيّ أدب جماعيٍ يشترك فيه شعب أو أمة
وعادة لا تعرف القصة شكلاً نهائيا وإن حافظت على مغزاها
إذ أن التفاصيل خاضعة لعبث الرواة ومخيلاتهم

.

٥ . الأدب الشعبيّ وإن كان جماعياً
فإنه يُعلي من قيمة الفرد
دوما هناك شخص مميز
شخص يحل مشاكل شعب

فارس يواجه وحده جيشاً
ففي الناس نزعة انسانية لتمجيد القوة

.

٦ . الأدب الشعبي ليس وسيلة ترفيه فحسب وإن كان ممتعا إلى حد بعيد
ولكنه وسيلة تربية أيضاً
فهو يُعلي من قيم الشجاعة والكرم والصدق ومساعدة الآخرين والتسامح
وحتى إن قدم مفاهيم سلبية كالغش والسرقة والغدر فغالبا ما تكون عواقب عواقب الأشخاص الذين يقومون بهذه السلوكات وخيمة
وهذا ما يسميه التربويون :
تدريس مفهوم ايجابي من خلال تصرف سلبيّ

.

٧ . أظهرت ثورة الاتصالات وعزوف الناس عن التواصل مع محيطهم القريب واتجاهاً للعالم الافتراضي الواسع مدى الإلفة التي تضفيها القصص الشعبية على الأسرة .
فمجرد اجتماع الأولاد عند أب أو أم أو في الغالب جد أو جدّة ليس اجتماع للتسلية أو المعرفة أو التربية فحسب ولكنه اجتماع مليء بالحب والدفء
وهذا عارض جانبي قد يفوق القيمة المعرفية والتربوية للقصص

جزيرة المُلوك!

يُحكى أن مدينة كانت محاطة بسور منيع
وكان ناموس أهل تلك المدينة أن لا يحكمهم ملك أكثر من عام
فإذا أتمّ الملك العام في الحكم ألبسوه ثوباً أبيض وعطّروه وحملوه على الأكتاف وطافوا به البلد
ثم أرسلوه إلى جزيرة مهجورة ليمضي بقية عمره هناك

أنهى أحد الملوك فترة حكمه
وكعادتهم ألبسوه ثوبا أبيض وعطروه
وحملوه على الأكتاف
وأخذوا يطوفون به في أنحاء المدينة
قائلين له وداعاً
وكانت هذه اللحظة من أصعب لحظات الحزن والألم
على الملك وجميع من كان قبله

ثم بعد ذلك وضعوه في السفينة
التي قامت بنقله إلى الجزيرة البعيدة حيث يكمل فيها بقية عمره

ورجعت السفينة إلى المدينة وفي طريق العودة اكتشفوا إحدى السفن
التي غرقت منذ وقت قريب ورأوا شاباً متعلقاً بقطعة عائمة من الخشب

فأنقذوه وأخذوه إلى مدينتهم وطلبوا منه أن يكون ملكاً عليهم لمدة سنة واحدة
لكنه رفض في البداية ثم وافق بعد ذلك

وأخبروه بالقانون الذي يسود في المدينة وأنه بعد مرور سوف يُحمل إلى تلك الجزيرة

بعد ثلاث أيام من تولي الشاب للعرش
طلب أن يزور الجزيرة فرآها وقد غطتها الغابات الكثيفة
وسمع فيها أصوت الحيوانات الشريرة
وهي تنطلق في أنحاء الجزيرة
ووجد جثث الملوك السابقين ملقاة على الأرض

عندئذ عاد الملك إلى مدينته
وجمع ١٠٠ عامل قوي وأخذهم إلى الجزيرة
وأمرهم بتنظيف الغابة وبناء قصر
ومرسى للسفن
وكان يزور الجزيرة مرة في الشهر
ليطمئن على سير العمل
وكان العمل يتقدم بخطوات سريعة

وبمرور الوقت تحولت الجزيرة إلى مكان جميل
وقد كان الملك ذكياً

فكان يلبس الملابس البسيطة
وينفق القليل على حياته في المدينة

في مقابل أنه كان يكرس أمواله التي وُهبت له في إعمار هذه الجزيرة

واكتملت السنة وجاء دور الملك ليتنقل إلى الجزيرة
ألبسه الناس الثوب الأبيض المعتاد وعطروه
وحملوه على الأكتاف ككل الذين سبقوه
ولكن للافت أن الملك لم يكن حزيناً كبقية الملوك الذين سبقوه
فقد كان فطناً وعمد إلى اصلاح الجزيرة الذي سيقضي فيها بقية عمره
فكان فرحاً أنه استراح من مشاكل المدينة
وهموم الناس
فبدا كمن سيذهب في رحلة ترفيهية

.

الدرس الأول والأخير :
الحياة هي تلك المدينة
وكل واحد فينا هو ملك مؤقت
يدير حياته بالشكل الذي يحلو له
ويوماً ما سيلبس الثوب الأبيض الذي لبسه كل المغادرون قبله

وسيُعطّر ويُحمل على الأكتاف إلى تلك الجزيرة
فمن عمّر المدينة وأهمل الجزيرة فسيرتحل إلى خرابة
وسيكون حزيناً يوم رحيله
لأنه انتقل من نعيم مؤقت إلى شقاء دائم
ومن كان ذكياً واستغل فترة حكمه لتحويل الجزيرة المهجورة إلى جنة
فسيكون سعيداً يوم يُغادر
سيكون كسجين أُعتق
أُعتق من الهموم والمسؤليات والأمراض والأوجاع
وسيبدو كمن هو ذاهب في رحلة استجمام ليس لها آخر
كل واحد فينا اليوم ملك مؤقت
والجزيرة هناك
وكلنا سنذهب إليها
من زرع ورداً سيذهب ليقطفه
ومن زرع شوكاً سيذهب ليجنيه

تمسكوا بأحبتكم

يُحكى أن طائر سنونو أحبّ رجلاً
وأراد أن يتخذه صديقاً
فوقف ذات يوم عند شباكه وقال له :
أنا أحبك كثيراً ،فأرجوك افتح لي النافذة لأدخل ونعيش سوياً في هذا البيت
قال له الرجل : هذا غير ممكن لاأستطيع إدخالك ،ما أنت سوى طائر ، فهل يعقل أن يحب طائرٌ إنساناً؟!
كرر السنونو على الرجل قائلاً
أرجوك افتح النافذة لأدخل ونعيش سوياً ،
ثم نكون أصدقاءً فلا تشعر بالوحدة ، ونمضي العمر معاً
و كرر الرجل الجواب ذاته

وللمرة الثالثة والأخيرة نادى السنونو على الرجل : أرجوك دعني أدخل ،فقد بدأ موسم البرد ،وكما تعلم أنني أعيش في الأماكن الحارة فقط!
وإلا سوف أضطر للرحيل إلى بلاد حارة .

فلذلك أدخلني بيتك نعيش هنا ،نأكل معاً ،أقف على كتفك ألاعبك ،فأنت مثلي هنا وحيداً وتحتاج إلى من يمنحك الحب والحنان .

قال له الرجل : أغرب عن وجهي الآن ، فأنا أريد أن أبقى وحيداً وطرد السنونو!

وعندما سمع السنونو هذا الجواب من الرجل طار وحلق عالياً ورحل بعيداً .

وعندما ابتعد ، فكر الرجل في حاله وقال :

كم أنا مغفل!لماذا لم أفتح النافذة وأدع السنونو يدخل ونعيش معاً!

وندم ندماً كبيراً على فعلته هذه ،ولكن هل ينفع الندم بعد الآن؟

وأصبح يقول في قرارة نفسه : على كل حال غداً يعود الدفء ويرجع السنونو .وأفتح له النافذة

ونعيش معاً بسعادة وهناء .

وفتح نافذته على مصراعيها وبدأ الإنتظار .

وجاء موسم الصيف وبدأت أسراب السنونو تتوافد على البلاد ، ولكن طائره لم يأت معهم!

واستمر بفتح نافذته طيلة موسم الصيف ولكن دون جدوى .

طائره لم يكن معهم . .

سأل عنه أسراب السنونو ،لكن لم يشاهده أحد .

وفي النهاية قرر أن يستشير أحد العارفين بالطيور عن هذا الوضع ، وبعد أن شرحه له ، قال له العارف :

إن عمر طيور السنونو ياصاحبي ستة أشهر فقط

.

.

الدرس الأول :

الحب الحقيقي ليس لأولئك الذين يشبهوننا

بل لأولئك الذين يكملوننا!

ثمة نقص فينا لا يعوضه إلا شخص واحد

جوع لا يسده إلا شخص واحد

عطش لا يرويه إلا شخص واحد

ثمة شخص تبدو دونه ناقصا مهما حاولت أن تتظاهر بتمامك

دونه تبدو كلعبة الأحجية :

صورة ينقصها قطعة واحدة صغيرة لتكتمل

وتغدو أحياناً تلك القطعة أهم من بقية الصورة

الدرس الثاني :

أجمل الخيارات شخص تحبه ويحبك

ولكن إن كان عليكَ أن تختار بين من يحبك ومن تحبه

اختر من يحبك

وعلم قلبك أن يحبه

الحب من طرف واحد ذلة

الدرس الثالث :

إن كان عليكَ أن تختار بين قلبك وكرامتك

فلا تفكر في الأمر كثيراً

اختر كرامتك

الذين يتنازلون عن كراماتهم لا يستحقون أن يكونوا عشاقاً

ومن يحبك لن يضعك في هذا الخيار أبداً

.

الدرس الرابع :

الحياة فرص

والحب جزء من الحياة وهو فرص أيضاً

ثمة أشخاص يقرعون بابك ولكنهم لن يفعلوا ذلك طويلا

ثمة أشخاص إن لم تفتح لهم قد لا يعودون

ثمة أشخاص يدوسون قلوبهم إذا أرادت تحويلهم إلى متسولي عشق

.

الدرس الخامس :

تمسكوا بأحبتكم بأسنانكم وأظافركم

الحياة أقصر من أن نقضيها بالهجر والخصومة

تذكروا أن الذين نحبهم غداً لن يكونوا هنا

أو أننا لن نكون

فإن رحلوا قبلنا لا يجتمع علينا حزن الفراق وندم الخصام
وإن رحلنا قبلهم تركنا في أذهانهم ذكرى طيبة
تناقشوا ولا تكونوا صناديق مقفلة
تعاتبوا فالعتاب مجلاة القلوب
العتاب كالاهتمام نفعله مع الذين نحبهم
الأشخاص الذين لا نريد الاحتفاظ بهم
أقل شأناً من أن نعاتبهم
تسامحوا ثمة معارك من العيب أن نبحث فيها عن نصر
ثمة أشخاص من العيب أن نتخذهم أعداء

الدلو المثقوب

يُحكى أنه كان في بلاد الهند رجل يبيع الماء

يضع عصا طويلة على كتفه ويتدلى من طرفي العصا دلوان كبيران كان يملأهما ماءً من نهر بعيد ،يحملهما ويذهب بهما إلى سيده ،وكان أحد هذين الدلوين فيه ثقب!

فالدلو السليم كان يصل ما بداخله من ماء بشكل كامل
أما الدلو المثقوب ،فكان يصل نصف ما بداخله من ماء
أثناء المسافة البعيدة التي يستغرقها هذا الرجل في الطريق ما بين النهر وبيت سيده

واستمر ما يُقارب العامين على هذه الحالة
يبيع نصف الماء فقط من الدلو المثقوب لسيده

الدلو السليم كان مسروراً لقيامه بمهمته كاملةً
أما الدلو المثقوب كان غير راضٍ عن مهمته خجلاً من صاحبه لكونه سبباً في خسارته نصف الثمن .

في أحد الأيام و أثناء استراحة الرجل على حافة النهر
تقدم الدلو المثقوب من صاحبه وقال له :
أنا خجلٌ منك وأعتذر لك

سأله الرجل : ولم الخجل؟

قال الدلو :
كما ترى ياسيدي منذ سنتين وأنت تحمل الماء وحالتي كما تعرف ، لاتعود عليك بما تستحقه من الجهد الذي تبذله

فقال له بائع الماء :
أنظر إلى الطريق الذي أذهب منه لبيت سيدي ،وأريد منك أن تنتبه إلى الزهور التي على حافة الطريق

وبالفعل عند صعود الرجل إلى هضبة مرتفعة ، شاهد الدلو على الطريق الزهور الباسمة في أحسن حللها وهي تعكس أشعة الشمس الدافئة عليها

ولكنه قال لسيده ،رغم هذه الزهور الزاهية ، فالتنيجة أنك تخسر نصف الذي تستحقه بسببي

قال له بائع الماء :
هل نظرت ورأيت أن هذه الزهور البهية ،هي موجودة على حافة الطريق الذي أحملك من جهته فقط ،وأن الجهة التي فيها الدلو السليم ليس فيها أزهار

وهذا الذي دعاني لكي أستفيد من العيب الذي عرفته فيك ،

والذي دعـاني لأبذر بذر الزهورالجـمـيلة هذه ، والتي كنت أنت تسقيها بدورك كل يوم خلال هذين العامين .
وعندما كانت تتفتح كنت ، أقطفها وأذهب بها إلى سيدي ، حيث كنت أزين بها طاولة طعامه ، ولولاك لم يكن هذا الجمال الرائع في البيت

الدرس الأول :
لا يوجد إنسان يخلو من أخطاء
نحن بشر
أتينا إلى هذه الأرض بعد خطأ الأكل من الشجرة المحرمة
وسنبقى نرتكب الأخطاء حتى مغادرتنا لهذا الكوكب
لا يوجد أقبح من مرتكبي الأخطاء
إلا أولئك الذين ينظرون في أخطاء الآخرين كأنهم أرباب
أمراض الأخلاق كأمراض الأجسام
لا يصح معها إلا الحمد على العافية
.

الدرس الثاني :
نحن بشر
متناقضون حدّ العجب

متقلبون حدّ الذهول

ترى الخير في إنسان حتى تظنه عاجزاً عن الشر

فإذا به يخيّب ظنك

وترى الشر في إنسان حتى تتوقعه عاجزاً عن الخير

فإذا به يخالف توقعاتك

بذرة الخير في الناس لا تموت

وبذرة الشر لا تهدأ

هكذا نحن نفس اليد التي أمسكت يداً لا تحل لها صباحاً

تمسك في الليل مصحفاً

ونفس القدم التي مشت لحرام تمشي إلى المسجد

ما زلتَ نرى من نحسبه لا خير فيه يمسك بيد عجوز يساعدها على عبور الشارع

ما زلتَ ترى امرأة رغم كل شيء تضع صدقة في يد فقير

وما زلتَ بالمقابل من تظنه ملاكاً يقوده الشيطان لحظة

الدرس الثالث :

الطاقات السلبية يمكن استغلالها

والقوى الشريرة يمكن توجيهها نحو الخير

غيّر العقلية التي تنتج الأفعال السيئة وسترى

السحرة الذين جاؤوا لتكذيب موسى كانوا من أكبر الأدلة على صدقه

حسّان بن ثابت الذي كان يقرض شعراً في هُبل واللاة صار شاعر النبيّ
وكان النبي يقول له : «اهجهم وروح القدس معك»
خالد الذي التف على المسلمين في أحد يوم ترك الرماة أماكنهم
فحوّل نصرهم إلى هزيمة
هو نفسه الذي صار فيما بعد سيف الله المسلول
وهو نفسه الذي بعد أن هزم امبراطورية الروم
جاءه كتاب عمر بالعزل قال :
أنا لا أقاتل لأجل عمر وإنما لأجل رب عمر
عكرمة الذي كان من بين العشرة الذين أهدر النبي دمهم يوم الفتح
وقال : من رآهم فليقتلهم ولو كانوا متعلقين بأستار الكعبة
صار في معركة اليرموك قائد ميمنة الجيش
وفيها أستشهد
الأشخاص هم الأشخاص ولكن العقليات تغيّرت
إذا أردت أن تُغيّر أفعال الناس
غيّر اهتماماتهم وأولوياتهم
الأفعال ليس إلا عوارض الأفكار

الهموم

كان لأحد الحكماء غلام يساعده في حوائجه
وكان الغلام دائم التأفف والشكوى والتذمر من الحياة ومن الناس!

فخطر على بال الفيلسوف خاطر . .حيث قال لغلامه اذهب وأتني بحفنة ملح
ذهب الغلام وأحضر الملح
فقال له الفيلسوف : ضع حفنة الملح هذه في كوب ماء
وضعها الغلام كما طلب منه الفيلسوف
فقال له : اشرب الماء الآن
فما اعترض الغلام رغم استغرابه
فشرب الماء وبعد أن انتهى من شرب الكوب مالبث أن تفل ماعلق بلسانه عند آخر الشرب
وقال لمعلمه إن طعمه لمقزز!!

بعدها قال له الفيلسوف اذهب وهات حفنة ملح أخرى
فذهب وأحضر ذلك وكان بالقرب منهما بحيرة
قال له الفيلسوف : اذهب وضع الملح في هذه البحيرة
فوضعها الغلام دون اعتراض
فقال له الفيلسوف الآن اشرب من البحيرة
فشرب!
ثم سأله : والآن مارأيك بطعم الماء؟

فقال الغلام : طعمه عذب!

عندها توجه الفيلسوف للغلام قائلاً :
هكذا فليكن قلبك يابني واسعاً مثل البحيرة ،وليس مثل الكأس . .
فأنت من تتحكم بطعم الحياة وتستطيع تبديد همومك وتذمرك
فلا تبحث بعيداً

.

الدرس الأول :
لا يوجد إنسان ليس لديه مشاكل
ولكن البعض يعرفون أن الأرض لن تكف عن الدوران إذا تأففوا
والشمس لن تعتزل الشروق إذا تذمروا
هي حياة وستمضي
لهذا يتكيفون معها
لعن الظلام شيء سهل
لكنه حيلة العاجز
إيقاد شمعة لن يطرد الليل
ولكنه سيتيح لك أن تبصر أمامك

.

الدرس الثاني :
الذي يقضي ليله بين الكتب لا يكره النوم
والذي يساعد الفقراء لا يكره المال

والتي تلبس حجاباً كاملاً لا تكره الأزياء والموضة
والذي يسافر ليتعلم لا يكره أهله ووطنه
والذي يبذل روحه في سبيل ما يؤمن به ليس كارها للحياة
والتي يتعفف ليس كارهاً للنساء
والتي تُحصن نفسها ليست كارهة للرجال
هؤلاء أشخاص ببساطة يختارون الطريق الأصعب
لأن الطريق الأسهل عادة طريق خاطئ

.

.

الدرس الثالث :
السخط على قضاء الله لن يُغيّرة ولكنه يحرم أجر المصيبة
السخط لا يُعيد ميتاً
ولا يشفي مريضاً
ولا يُغني فقيراً
قضاء الله نافذ شئنا أم أبينا
وهو شيء غير قابل للتغيير
ولكن العقلية التي تتعامل معه هي التي يجب أن تتغير
يريد أحدنا أن يكون سيداً مطلقا في بيته
ولا يرضى لله أن يكون سيداً مطلقاً في خلقه
من كان يرزق نفسه فليتأفف إن فقد رزقاً
ومن أنجب ولداً بقوته فليتذمر إذ فقده
من أنبت زرعاً بحنكته فليسخط إذا لم يحصده

إن الله إذا أعطى فبرحمته
وإذا أخذ فبعدله
هذه البديهيات يجيب أن تتحول من عقائد إلى سلوكيات
والله يعطي الدنيا لمن يحب ولمن يكره
ولو كانت تساوي عنده جناح بعوضة ما سقى منها كافر
هذه الدنيا فندق
وكل واحد منا نزيل ما يلبث أن يرحل
حتى أولئك الذين ملكوا هذا الفندق الكبير
تركوه وراءهم ورحلوا
أين سليمان وقد ملكها من مشرقها لمغربها
أين النمرود وقد ملكها من أقصاها لأدناها
الطغاة والعصاة نصيبهم منها مترين من تراب
الأغنياء والفقراء نصيبهم منها مترين من تراب
هذه الدنيا امتحان وكل مشارك فيه بحسب ما قدّر الله له
لن يدخل غني الجنة بغناه
ولن يدخل النار فقيراً بفقره
فتعالوا نعرف حجمنا
نحن ذرة في هذا الكوكب
وهذا الكوكب ذرة في كون الله الواسع
تعالوا نعترف بسلطان الله على خلقه وفي كونه
السخط لا يرد قدراً
والرضا يرفع أجراً

الناس طباع

وقال الهيثم بن عدي :
خرجتُ في سفر على ناقة
فأمسيتُ عند خيمة أعرابي ، فنزلت
فقالت ربة الخباء : من أنت؟
فقلت : ضيف
قالت : وما يصنع الضيف عندنا إن الصحراء لواسعة؟
ثم قامت إلى بُر فطحنته وعجنته وخبزته ، ثم قعدت تأكل
فلم ألبث طويلاً حتى جاء زوجها ومعه لبن
فسلم ثم قال : من الرجل؟
قلت : ضيف
قال : أهلاً وسهلاً حياك الله ، وملأ كوباً من لبن وسقاني
ثم قال : ما أراك أكلت شيئاً! وما أراها أطعمتك!
فقلت : لا والله
فدخل عليها غاضباً ، وقال : ويلك أكلت وتركت الضيف؟
قالت : وما أصنع به أطعمه طعامي
وزاد بينهما الكلام ، فضربها حتى شجها
ثم أخذ شفرة وخرج إلى ناقتي فنحرها ، فقلت : ما صنعت عافاك الله؟ فقال : والله لا يبيت ضيفي جائعاً ، ثم جمع حطباً ، وأجج ناراً وأقبل يشوي ويطعمني ، ويأكل ويلقي إليها ، ويقول : كلي لا أطعمك الله!
حتى إذا أصبح تركني وذهب

فقعدتُ مغموماً ، فلما تعالى النهار ، أقبل ومعه بعير ما يسأم الناظر من النظر إليه

وقال : هذا مكان ناقتك ثم زودني من ذلك اللحم ومما حضره

وخرجت من عنده فضمني الليل إلى خيمة أعرابي

فسلمتُ فردّتْ صاحبة الخباء علي السلام

وقالت : من الرجل؟

قلت : ضيف

فقالت : مرحباً بك حياك الله وعافاك

فنزلتْ ثم عمدتْ إلى بر فطحنته وعجنته وخبزته

ثم روت ذلك بالزبد واللبن ووضعته بين يدي ، ومعه دجاجة مشوية

وقالت : كل واعذر

فلم ألبث إذ أقبل أعرابي كريه المنظر ، فسلم فرددت عليه السلام

فقال : من الرجل؟

قلت : ضيف

قال : وما يصنع الضيف عندنا؟

ثم دخل إلى أهله وقال : أين طعامي؟

قالت : أطعمته للضيف

فقال : أتطعمين طعامي للأضياف؟

ثم تكالما فضربها فشجها

فجعلتُ أضحك

فخرج إلي وقال : ما يضحكك؟

فأخبرته بقصة الرجل والمرأة اللذين نزلت عندهما قبله

فأقبل علي وقال : إن هذه المرأة التي عندي أخت ذلك الرجل

وتلك المرأة التي عنده أختي

.

.

الهيثم بن عديّ مؤرخ وعالم بالأدب والأنساب
ترجم له الزركلي في الأعلام
وأثنى عليه بعلمه وصدقه

الدرس الأول :
البيوت عجائب
قد يكون نصيب المرأة الطيبة زوجاً شريراً
وقد يكون نصيب الرجل الطيب زوجة شريرة
فلا الطيب يقلع عن طيبته
ولا الشرير يقلع عن شره
وتستمر الحياة
المرأة التي بنى الله بيتاً في الجنة
كان زوجها في الأرض يقول : أنا ربكم الأعلى
صعدت الحيوانات السفينة مع نوح ولم تصعد معه زوجته
وآمن أولاد لوط وكفرت امرأته

الدرس الثاني :
إذا كانوا لا يتأثرون بطيبتك
فلا تتأثر بشرّهم
لا تدع أحداً يُغيّرك للأسوأ
ثق أن الذي لا تعجبهم تصرفاتك النبيلة
يحترموك رغما عنهم ولو أبدوا لك عكس ذلك
إنما هذه الحدة منهم ذلك لأنك بطيبتك تذكرهم دوما بمدى سوئهم
والذين تفعل الشر معهم ولأجلهم قد يرافقوك في دروب الحياة
ولكن ثق أنهم لا يحترموك

الدرس الثالث :
العشرة الطويلة لا تصنع الصداقات
منذ آلاف السنين والأخشاب ترافق المناشير
والمناجل ترافق السنابل
لم يكن المنشار يوما صديقا للأخشاب
ولم يكن المنجل يوماً رفيقاً للسنابل
وهكذا بعض الذين نعاشرهم مناجل ومناشير
ولكن السنابل بقيت تعطي القمح
والأخشاب استمرت تصبح كراسي وطاولات
إذا أُجبرتَ على عشرتهم ابقَ سنبلة
واصنع الخير لا لأنهم أهله بل لأنك أهله

.

.

الدرس الرابع :

إذا أعطاك أحدهم وردة وقال لكَ ازرعها

ستبحث عن مكان يليق بالورد تزرعها فيه

من الغباء أن تزرع وردة في مزبلة

وبناتكم ورود فانظروا أين تزرعوهن

إياكم أن تبحثوا في الخاطبين عن مال

إن كثيراً من القصور التي تشاهدونها ليست إلا قبوراً

دُفن فيه نساء أحياء وهن يمتن في اليوم ألف مرّة

هذه الوردة التي أعطاك الله إياها شتلة صغيرة

فزرعتها في تربة الاهتمام

وسقيتها في ماء المحبة

لا تُفرّط بها إلا إذا كان طالبها حديقة» .

الفهرس



أنا بعدكِ بخير
لم يتحوّل قلبي إلى مضخةٍ تافهة لأنكِ غادرته
ودمي بخير مُذ كفَّ عن حملك والجريان بكِ في أنحاء جسدي
وشراييني لا تسأل عنكِ حين يعبرها دمي ولستِ فيه
وخلاياي لم تقلْ لدمي : لستُ بحاجة إلى أوكسجينك هذا...
آتني بها لأتنفس
والشهيقُ بعدكِ ليس محاولة غبية للاستمرار على قيد الحياة
والزفير ليس حاراً كما تعتقدين فلم يحرقني جمر رحيلكِ !





رسم الغلاف
أمل القفاري